الطائر الأزرق

أحدوثة من عالم السحر
في ستة فصول

بقلم : موريس ميترلينك
ترجمة : يحيى حقي
مراجعة وتقديم : عبد الرحمن صدقي

الدار المصرية للتأليف والترجمة

روائع المسرح العالمي

٧٢

الطائر الأزرق

أحدوثة من عالم السحر
في ستة فصول

بقلم : موريس ميترلنك

ترجمة : يحيى حقي

مراجعة وتقديم : عبد الرحمن صدقي

الدار المصرية للتأليف والترجمة

مقدمة

موريس ميترلنك
والمسرح الرمزي
١٨٦٢ — ١٩٤٩

موريس ميترلنك ـ البلجيكي موطناً ، الفلامنكي محتداً ونسباً ، الفرنسي مقاما وقلما وأدبا ـ شاعر من أبدع الشعراء في معانيه وبيانه ، وحكيم من أكبر الحكماء في زمانه ، وهو غزير الانتاج متنوعه ، تجمع مؤلفاته بين ما يستولي على عقول الخاصة من المفكرين، وما يؤثر في قلوب السواد من جمهور القارئين •

وتأييدا لهذه الصفة المميزة التي أوردناها في مستهل هذه التقدمة ، نجد لزاما علينا ايراد الشواهد ، وتكفينا منها هنا لضيق المقام الاشارة الى هذين المثالين من مؤلفات ميترلنك ، وهما من جهة الموضوع جِدّ مختلفين •

الأول مبحث في التاريخ الطبيعي ، وهو كتابه عن « حياة النحل » الذي ترجم الى جميع اللغات وتكرر طبعه مئات المرات ، والكتاب صغير في حجمه ، ولكنه لا حدّ لسحره ، سواء عند المتخصصين من العلماء ، أو من ليس لهم في هذا الخصوص ادعاء • والعجيب

فى أمره أنه حوى بين دفتيه من صميم حياة النحل أكثر مما تضمنته كتب البحث العلمى ، من غير أن يحمل مثلها طابعَ البحث العلمى .
ولا خفاء فى أن السر فى ذلك أن صاحب الكتاب حكيم وشاعر ، وقد صاحب النحل زهاء نصف قرن من الزمان لأنه من هواة تربيته ، فهو قد اعتمد فى كتابه على طول المشاهدة والدرس ، ولكنه فوق ذلك كان فى خلوصه الى الحقائق يتلقاها بقلب العاشق، ويتعمّقها بعقل الحكيم ، ويرويها بلسان الشاعر . فلا غرو أن يسحر القراء كافة بما يقوله كأنه نفث ساحر . وهو فى ذلك ما تعدّى قول الحقيقة ، وانما أفاض عليها من حماسته وشاعريته ، وعمق فهمه وسعة أفقه وصدق تشبيهاته ، ما جعل الحقيقة تبدو كالخيال عجيبة بديعة .

أما المثال الآخر فهو ـ كما سنرى ـ أبعد ما يكون عن البحث فى التاريخ الطبيعى ، لأنه مسرحية من بدائع الفن الرمزى ، وهى بعينها التى بين أيدينا : مسرحية « الطائر الأزرق » . وهذه المسرحية التى تعمّد المؤلف أن تكون على أسلوب قصص الجنيّات وهى المفروض أنها للأطفال ، تتضمن خلاصة فلسفته .

ولما كانت هذه الفلسفة للشاعر والكاتب والمؤلف المسرحى « موريس ميترلنك » ، هى ثمرة تجاريبه النفسية ومطالعاته وتأملاته الفلسفية حتى كتابة هذه المسرحية عام ١٩٠٨ وقد تجاوز وقتئذ الخامسة والأربعين ، فلا غنى عن لمحة خاطفة ولو كطرفة العين لمراجعة ما كان من أمره قبل أن يبلغ الى هذه المرحلة من عمره .

كان الشاب « موريس ميترلنك » فى نحو الخامسة والعشرين من عمره ، حين أخرجت المطبعة بواكير مؤلفـاته عام ١٨٨٩ ، وأولاها مجموعة أشـعار بعنوان « الأكنان الدافئة Serres Chaudes طبعت منها مائة وخمسـين نسخة احدى دور النشر فى باريس . وهذه الأكنان تضم رقائق من الأزهار الشعرية لا تمت الى واقع الطبيعة ، بل هى نظائر لهـا يبلغ من لطفها وشفوفها أنهـا تبدو وكأنهـا أطياف فى المنام من نسيج الأحلام ، ومثـل هـذه الأشعار كثيرا ما تشغل الخاطر وتثير الشجون بما تنطوى عليه من الشعور الغـامض والروح الحزين . وأمام هـذا النزوع للخفـاء والغموض ، والهروب من الواقع المبتذل المحدود ، مع غرابة التعبير من حيث التراكيب ، والترديد بالذات لبعض الجمل أو المفردات ، وتعمد الايقاع الجـديد ، لا يمكن أن يخفى على القـارىء تعرّف سـمات ذلك الفـريق من الشعراء الذى منـه « جوسـتاف كاهن Gustave Kahn و « شارل موريس Charles Morice و « لافورج Jules Laforge » وغيرهم من شباب الفنانين المنتمين الى مدرسـة الشعر الجديد ، مدرسـة الرمزيين التى رفـع لواءها « بودلير » و « مالاربيه » و «رامبو » من متقدمى الأعلام المشهورين .

كذلك طبع الشاعر البلجيكى الشاب بعد أشـهر من طبع مجموعة أشعاره فى باريس مسرحية بعنوان «الاميرة مالين» «La Princesse Maleine وقد تولى مع صـديق له طبعهـا فى وطنـه بلجيكا بمطبعـة تدار باليدقام هو بادارة عجلتهافى حجرة مربعة صغيرةفى مكان كالاسطبل

بـبـلدته « غنت Ghent » ، وكانت هذه الطبعة خاصة لا يكاد يتجاوز عددها الثلاثين نسخة • ولكنه لم يلبث بعدها أن طبعها في المطبعة الصغيرة نفسها في حدود المـاية والخمس والخمسين نسخة وهي الحد الأقصى الذي لم يكن يتعـداه شـباب الكتاب في هـذه المدينـة القديمة تظاهرا بالدلال وتحديا لقلة الاقبـال • وكان هـذا العـدد المحدود يدخـل في عداده ما يرسـل عادة لنقـاد الصحف والمجـلات •

وكان المؤلف الشـاب مقيمـا في بيتـه الريفي في ناحيـة (أوسـتاكر Austacker) بالقرب من « غنت » ، فاتفق - في الرابع والعشرين من أغسطس عام ١٨٩٥ وهـو جالس الى المـائدة يتناول فطوره - أن جاءته جريدة الفيجارو الباريسية ، فاذا صفحتها الأولى مخصصة كلها لمقـال بقلم ناقـد الجريدة المسرحي الكاتب المعروف « أوكتاف ميربو Octave Mirbeau » ، استهله بما يلي :

(انى لا أعرف شـيئا عن « موريس ميتر لنك » ، لا أعرف من أين هو ، ولا كيف هو • لا أعرف ان كان شـيخا كبير السنّ أو فتى في ربيع العمر ، غنيـاً وافر المـال أو فقـيراً رقيق الحـال ، لا أعرف • كل ما أعرف أنه ما من انسان يجهله النـاس أكثر من جهلهم اياه ، كما أعرف في الوقت نفسه أن هذا الانسان نفسه أتى بآية رائعة من الآيات ، آية ليست من قبيل هذا النوع الذي تعد له البطاقة مقدما باسم المعجزة من قبل ظهورها ، كتلك المعجزات التي يطالعنا بها كل آن أساتذتنا من الشبان ، فتتغنّى باسمهم وتلهج

بذكرهم وتسبّح بحمدهم على كل نغم من الأنغام ، وبكل لحن من الألحان تلك القيثارةُ الحديثةُ الضخمة ، أو ـ بعبارة أصح ـ ذلك المزمارُ الصاخب الجبار : الصحافة . كلا ، انها معجزة من نوع آخر ، آية رائعة ، خالصة ، خالدة ، آية تكفى وحدها لتخليد اسم صاحبها ، وتقديس ذكره ، عند جميع المنهومين المتعطشين الى ما هو رائع وعظيم ، : آية كالتى حلم فى بعض الأحايين بتحقيقها الفنانون الشرفاء المعذبون فى لحظات الحماسة لفنهم ، ولكنهم لم يحققوها الى اليوم ، وأخيرا طلع علينا السيد « موريس ميتر لنك » بعمل من الأعمال الأدبية هو أعظم ما عرفه هذا العصر اصالةً وعبقرية ، عمل يجمع بين أبدع الغرابة وأعذب البساطة ، حتى ليضارع بل أكاد أقول ـ اذا أسعفتنى الجرأة ـ انه ليفوق فى روعة جماله أجمل ما فى شكسبير . هذا العمل الأدبى مسرحيةٌ اسمها « الأميرة مالين ») .

قرأ الشاب البلجيكى مؤلف مسرحية « الأميرة مالين » هذا المقال فى الصحيفة الفرنسية ، فلم يكد يتمه حتى أحس انفجار شىء فى نفسه ، انفجر سد من القلق كان لا محالة يضيق به صدره حين يساوره فيكاد يعترض انطلاق طبعه ، ويعوق دون انفساح مجراه ، وتدفق المحتبَس من فيضه الى مداه ، والاطمئنان الى جدواه . ان ما قيل عنه فى صحف بلاده فى ذلك الحين قليل ولا يكاد عند حسن التقدير يعدو هذا القبيل : « ذاك البصيص الصغير الذى يتألق فى الأفق ، لا يدرى أحدٌ بعدُ أهو بصيص مصباح صغير أو نجم

بعيد » . أكان هذا القول وأمثاله فى صحف بلاده من شأنه أن يبعث الثقة فى نفس كاتب مجدد يريد أن يستقيم على طريقه ويطمئن الى حاله ؟ أين هذا من فورة الاعجاب فى مقال الناقد الفرنسى الذى لم يكن ليفوقه مقال فى حماسة الاستقبال حتى لقد خيل الى والد المؤلف فى دهشته من كل هذه المبالغة فى الاحتفاء ، أنها مقصود بها الى السخرية والاستهزاء بولده . ولكن المؤلف فى واقع الأمر كان جديراً بالثناء ، وانما هى المبالغة وحدها كادت تفوت على القراء مدلولها وتفسد أثرها .

وفى اعتقادنا أنه على الرغم من ذهاب الناقد الفرنسى فى حماسته للمؤلف الشاب البلجيكى الى حد المقارنة بينه وبين شكسبير أعظم شعراء العالم ، وتفضيله عليه مع الفارق الذى لا يحد بين الاثنين ، فاننا نحمد على الأقل لذلك الناقد المتحمس أنه فى ذكره شكسبير فى معرض كلامه عن الباكورة الأولى لمسرح « ميترلنك » ، قد أسلمنا طرفاً من الخيط الذى يؤدى الى استكشاف جانب هام فى تكوين ميترلنك نفسه ونشأة مسرحه .

ولقد كان مولد « موريس ميتر لنك » فى التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٨٦٢ فى مدينة « غنت Ghent » الواقعة فى ملتقى النهرين (ليس ـ و ـ اسكو) باقليم الفلمنك Flandres » وفيها كانت نشأته حتى تجاوز الخامسة والعشرين ، وهى مدينة قديمة من أجمع المدن لخصائص الاقليم ، تتحدث جدرانها المسودة من قدمها بالماضى الحافل بالحياة المزدحم بالذكريات ، كما تشتم

رائحة الموت والانحلال من الرطوبة المنبعثة من ذلك العدد العديد من القنوات • ثم هى أعمر ما تكون بالأديرة والمصانع فى وقت معاً ، فهى مدينة أهل الصناعة العاملين وأهل الله المتصوفة الزاهدين • فلا غرو أن يكون لهذا الاقليم ، بجوه المعتم القاتم وبيئته الحسية الصافية، مالابد منه من الأثر الذى يتفـــاوت بحسب الملابســات ، فى حساسية الأجيال المتعاقبة •

ولا بأس من أن نستشهد هنا بما يعرفه الجميع عن حياة كبيرٍ من أشــهر مشاهير التاريخ من مواليد مدينة « غنت » نفسها ، وهــو الامبراطور شارلكان الذى اجتمع له فى العالمين القــديم والجديد عظمة الملك الواسع الذى لا تغرب عنه الشمس ، وجبروت الحاكم المطلق الذى لامعقب عليه،ومظاهر السلطان الذى ليس كمثله سلطان ، فنزل فى عام ١٥٥٦ عن هــذا جميعه ايثاراً لحيــاة النسك فى دير « يوســـت Yuste » غربى اسـبانيا ، وفى هذا الدير طلب قبل وفاته أن تُقام شعائر جنازته أمام عينيه فى حياته •

هذا المزاج بعينه هو المزاج الغالب على احساس «موريس ميتر لنك» وتفكيره ، فى شعره وفى مسرحه وسائر مصنفاته على تعدد مباحثـــه واختلاف موضوعاته • ولمـا كان مدار الحديث هنا على مسرحه ، فلا مندوحة من قصر الكلام على مسرحياته • وحسبنا لكى نبلغ الغـاية أن نراجع مسرحياته الأولى ، الطوال منها والقصـــار ، كلها أو بعضها ، لنرى هل الحيــاة فيهـا ما برحت على تكرارها هى الحكاية نفسها ، حكاية يحكيها أبله معتوه ، كلها ضجيج وصخب ، ولا طائل من ورائها غير العــذاب والتعب ، ثم يطوى الردى أبطالهـا دون أن

يعرفوا سرها أو يجدوا معنى لها ؟ وهؤلاء الأبطال الفنانون ، أتراهم أجيالا بعد أجيال ، حين يسلكون مرحلة الحياة قصيرة كانت أو طويلة ، يسلكونها أجمعون عمياناً كانوا أو مبصرين ، كالسارى الذى طال فى الليل سراه يردد هذا القول أو ما فى معناه ، « أنا الانسان التائه لا يدرى أين هو ذاهب » ؟

أجل انها جميعا نفس المأساة ، مأساة القدر المتحكم فى الحياة كلها ، فى سائر أمورها صغيرها وكبيرها ، ليسلم الحياة ـ كل حياة ـ آخر الأمر الى الموت الراصد منذ الصغر لها ، المتربص بها ، وهى أبدا شاعرة به وهو يحوم حولها ، متوجسة منه ، متجنبة له . وقد تحاول الحياة تناسى الموت والتغلغل عنه ، ولكنه لا ينساها ولا يغفل عنها لحظة ، حتى تحين الساعة فيخمد أنفاسها وينتزع روحها ، سيان كانت على انفراد وحدها ، أو بين أهلها وأحبائها أو وسط الألوف المؤلفة المحتاجة اليها المتعلقة بها :

فهذه « الأميرة مالين » ـ فى أولى مسرحيات « ميترلك » ـ صبية كالزهرة الجنية فى رقتها وحسنها وبراءتها ، وهى وحدها بالليل فى حجرتها ، ولكنها مسهدة قلقة ، تحس أن خطرا تجهله يهددها ، وفى الواقع كان هنالك قتلة لا تعرفهم ائتمروا لسبب لا تعرفه على قتل الأميرة الصغيرة ، انهم على السلم السرى المؤدى الى باب خفى فى جدار من جدران حجراتها . انها تجهل كل شىء عن هذا الممر الخفى ، وتجهل أمر القتلة كل الجهل ، ولكنها تعرف أنها الليلة هالكة ، تحس أن الموت قريب منها . أهى تلك الخطوة

البعيدة التى خيل اليها أنها سمعتها ؟ لكم سمعت مثلها كل ليلة فى نواحى القصر . ولكنها فى هذه الليلة رهيبة مخيفة ، مروعة كأنما تؤذن بالشر . ان هذا الشر آت لا محالة . انها لتشعر بوجود غير منظور ، غير منظور ، ولكنه حقيقى الى حد فظيع ، انه يرعبها فيجمد الدم فى عروقها . ويطول موقف الأميرة على هذه الحال ، فاذا بنا نعيش فى عالم الخوف معها ، لا اشفاقا عليها من القتلة المؤتمرين على قتلها ، بل على أنفسنا من الأقدار ، من القوى المجهولة التى تتصرف بنا وتسوقنا كما شاءت ، والى حيث شاءت دون ارادتنا ومن غير علمنا .

هذه المسرحية « مالين » من الناحية الزمنية أولى مسرحيات « ميتر لنك » ، وقد كان تأليفه لها تحت سماء بلدته قبل النزوح الى باريس ، وهى — على ما فيها من التردد الطبيعى — بمثابة النموذج الأول لما سيأتى فى أعقابها من عمل مسرحى ، فنحن واجدون فيها ذلك الاطار من المناظر التى يخلع عليها المؤلف مسحة خيالية لا تخلو من الغرابة والغموض ، بحيث يبدو المكان كأنه فى بلاد أسطورية مع شعورنا بحقيقته الواقعية . وهنا تطالعنا البحيرات هادئة ساكنة تكتنفها الغابات ذوات الأشجار العالية الساهمة ، وعلى مسافة منها القصور القديمة ، دهاليزها وأسرابها لا آخر لها ، وأقباؤها الضخام الثقيلة كأنها على النفس جاثمة ، ومقاصيرها كثيرة الشقوق متآكلة من فرط الرطوبة ، وحدائقها المهملة ملتفة الشجر كثيفة الورق مظلمة . والصروح المحصنة بأبهائها الفاخرة المتهدمة ، العامرة الموحشة ،

تعيد الى الذاكرة ذكريات ما شهدته في الأجيال المتعاقبة من ضروب التعذيب وفظائع الجرائم ، مما أوقع الروع لا محالة فى نفوس ساكنيها صغارهم وكبارهم ، فهم نهب الهواجس والمخاوف يشتركون فيها ، على الرغم من قلة التفاهم بينهم للفارق الكبير بين أعمارهم .. والى هذا كثير من أمثاله ، وجميعه مما استوحاه المؤلف من مشاهد بلدته القديمة ، وما أفاده من خلال مطالعاته وزاد عليه من تخيلاته .

فى هذه المسرحية التى لم يفكر مسرح فى تمثيلها ، تظهر محاكاة « متر لنك » لشكسبير فى كثرة المناظر وتعدّدها فى كل فصل من فصولها ، وفى ازدحامها بالشخصيات الملكية ، وذلك المزاج بين العناصر الفاجعة والعناصر المضحكة ، وفى الغراميات المتعارضة ، وكل هذه التنبؤات والنُّذر قبل المقتلة الختامية .

ولكن هذه المحاكاة للوقائع تقف عند حد الظاهر ، لأن «ميتر لنك» فى عرضه شخوص المسرحية وأحداثها لا يقصد الى واقعيتها ، فقد كان غير مؤمن بالفن الواقعى ، بل هو راسخ العقيدة بأن الواقعية فى عصره قد أخفقت ، ويرجع اخفاقها الى أنها اتجهت شطر صغار الحقائق ــ تلك الحقائق اليومية الغثة الهزيلة التى لا كنه لها ، ولا كبير طائل وراءها ــ بدلا من أن تحاول الاتصال بالحقيقة الكبرى ، تلك الحقيقة الكامنة المستكنة وراء الأشياء كلها ، أو بعبارة أخرى « تلك القوى الخفية » ، وبأوجز لفظ « ذلك المجهول » فهو وحده الذى يعنى الفنان الرمزى بحيث لا يمل ذكره ، ولا يستهويه غيره ، ولا تشغله الظواهر عن أمره ومحاولة استكناه سره .

من أجل ذلك لا يكون من المستغرب أن ميتر لنك ـ أو شكسبير البلجيكي على حد ما سماه « ميربو » في مقاله الحماسي ـ لم يلبث أن أدرك أنه في غير حاجة الى أصحاب العروش ذوي الهامات المتوجة، ومن حولهم الأمراء والحاشية ، وكل ما هنالك ـ في مسرحية مالين ـ من تلك العناصر الكثيرة المتنوعة ، فضلا عن ذلك التفنن في ابتداع الموضوعات الفاجعة . نعم أدرك ميتر لنك أنه في غير حاجة الى جميع هذا ، اذ أن أبسط الحوادث العادية في الحياة اليومية يغني عنه ، وقد يكون أعمق أثراً منه بل أوفى بالغرض لبلوغ المؤلف ما يريده في مسرحه الرمزي من اشعار الجمهور بما وراء الأشياء والأحداث من القوى الخفية أو سلطان القدر ، أو بالاختصار ما ينطوي تحت لفظ « المجهول » .

وعلى هذا جرى المؤلف في مسرحياته التالية ، وهي قصار في الغالب الأعم .

ونذكر من تلك المسرحيات القصار مسرحية « الدخيل » من فصل واحد ومن منظر واحد وهو غرفة مظلمة في قصر قديم ، حيث يجتمع أشخاص المسرحية وهم الجد الضرير ، والأب والعم والبنات الثلاث ، ولا يضيء الغرفة غير مصباح واحد ضوءه خافت ، والكل فيها يتهامسون بصوت خافت كذلك ، وهم جميعا واجمون مسهدون . وفي غرفة مجاورة ترقد تلك التي يفكرون فيها وعنها يتهامسون ، المريضة التي يتهدد الخطر حياتها ، ومن أجلها كان اجتماع هؤلاء ومحاولتهم أن يطمئن بعضهم بعضاً ، ومن هذا القبيل

ما كان يدور من المقال بين العم والأب : « ان طلعتها تبدو منذ العصر على أحسن ما يرام ، وهى تنام نوما عميقا الآن ، فهل ترانا ننغص على أنفسنا أول ليلة طيبة أتاحها الحظ لنا . من رأيى انه يحق لنا أن نستريح ، بل أن نضحك هذا المساء ولا نخشى شيئا » .

ولكن الجد الضرير كان يستبد به القلق ، فلم يكن ليهدئ من روعه شيء . لم يكن يعنيه ما يقوله الآخرون . ذلك أنهم مبصرون، والواقع الذى يبصرونه يحول بينهم ورؤية الحق . أما هو فقد حجب العمى عن عينيه عالم الظواهر ، فأصبح اتصاله بالعالم عن طريق الحواس الباطنة . انه الوحيد الذى كشف العمى عن بصيرته ، فهو يرى قبل سواه كل شيء على حقيقته . انه يحس بالخطر يزداد ، والأجل يدنو من المريضة سريع الخطوات ... ومنذ هذه اللحظة تتركز المأساة كلها فى الشيخ العجوز ، فى تباريح لوعته التى تنعكس فى ازدياد واشتداد على طلعته ، ويضاعف الأثر ما يشيع فى جو الغرفة من دواعى الفزع متوافداً من خارجها متصاعدا من أرضها ، فثمة عصفة من الريح تهب ثم تسكن ، وشدو البلابل ينقطع ويسكت،ووقع خطوات خاطفة مرقت فىالحديقة،ولمحة من البستانى وهو يشحذ تحت جنح الليل منجله ، وعشرات من التفاصيل لو سنحت متفرقة لما كان يؤبه لها ، ولكن تكرارها متلاحقة تألف منه وعيد وتهديد بالخطر . عندئذ لم يستطع الجد الضرير الا اظهار الفزع ، حتى اذا جاءت لحظة أحس فيها الجد الضرير بين

المجتمعين بوجود لم يشعروا هم بوجوده ، ندّت منه الصرخة المخنوقة . وفجأة ينفتح الباب ويغمر الغرفة فيض مباغت من ضياء . وتدخل ممرضة من الراهبات وترسم على صدرها اشارة الصليب التى يستدل منها أن المريض مات .

ومع هذه المسرحية نشر المؤلف فى سنة ١٨٩٠ مسرحية أخرى مثلها عدد شخوصها اثنا عشر ، ستة رجال وست نساء وكلهم عميان ، ومن هنا سميت « العميان » . وهؤلاء الخلق من العميان نراهم فى الظلام وحدهم فى غابة من غابات الشمال تبدو عريقة فى القدم كأنها كانت هنا منذ الأزل ، ومن فوقهم سماء غائرة النجوم ، وهم ينتظرون ، ينتظرون من غير أمل ، ولكنهم مع ذلك ينتظرون . انهم فى انتظار قس ، رجل الله ومبعوث العناية ، انه نورهم الهادي ودليلهم المرشد ، لقد كان يتقدمهم ويقودهم ، ثم غاب عنهم وطال غيابه . وانهم ليتحسسون طريقهم فى الغابة بحثا عنه ، وفجأة يقع فى روعهم شعور مبهم تقشعر منه أبدانهم ، شعور بوجود شيء غريب عنهم لا يبصرونه ولكنه قريب . ولم يكذبهم حدسهم . انه الموت ، فهنالك عند جذع الشجرة أسند القس ظهره جثة هامدة .

والمؤلف مع هذه الصدمة القاصمة يشعرك بأن مقصده الأخير ليس هو الدعوة الى اليأس ، يأس الانسانية من جدوى السعى والأمل فى الهداية الى سواء السبيل ، فانه على رغم ذلك الاخفاق والفشل يشير الى استمرار الانسانية فى الأمل ، فان الستار ينزل على أبطال مسرحيته « العميان » وهم لا يزالون ينتظرون .

هذا بعينه هو الذى مكن لمسرحيات « ميتر لنك » ، على ما فى حتمية واقعها الموحش المظلم اليائس المؤلم من رهبة وقسوة ، أن تستهوينا بما لا ينفك يغمرها من فيض الحيوية وبهجة النضارة الفتية لفرط ايمان المؤلف بالحياة ، وعمق شعوره بتلك الغريزة الكونية ، غريزة الحياة الغلابة القوية التى أورثت سائر الاحياء ما فيهم من قوة الجلد والعناد ، كالذى نشهده فى النملة الصاعدة على العود وهى تسقط مائة مرة ، وفى كل مرة تعاود الصعود ... أو مثل ذلك الانسان الذى حكمت عليه الآلهة أن يدفع الحجر الكبير الى أعلى الجبل ، فلا يزال الحجر كلما بلغ به الى قمة الجبل يتدحرج الى أسفل، وهوماض معذلك فى تأدية العمل الموكول اليه . ذلك أن الحياة لم تكن منذ كانت الا كذلك بطبيعتها ، وهذه ارادتها . ولا يكون الحى حيا حفل حياته الا اذا استجاب ـ طائعا أو كارها ـ لغريزتها ، وعمل بارادتها وان جهل غايتها .

ولكن هذا كله لم يكن ليحجب عن « ميتر لنك » خاطر الموت ، فقد كان هذا الخاطر يلازمه منذ حداثته فلم يكف عن التحدث عن الموت فى شعره وفى مسرحياته وسائر كتاباته ، بصريح الاسم تارة ، وتارات أخرى بمختلف الكفايات ، وجملة ما يقال آخر الأمر أن الموت كان عند « ميتر لنك » موضوع تفكيره طوال العمر ، وأنه قضى السبعة والثمانين عاما من حياته وهو فى انتظار لقائه ، لقاء ذلك الصاحب المجهول وجها لوجه .

ومع ذلك فقد وقعت في حياة « ميتر لنك » بعض تغييرات مادية

وأخرى وجدانية يمكن أن يُرَد اليها ما يلاحظ على مسرحياته التاليـة من تسرّب نوع من الرجاء ، كالشّعشاع من الضياء في الليل الحالك •

ونذكر من تلك التغيرات المادية في ظروف حياته انتقاله من جو الشمال البلجيكي الغائم القاتم ، الى الجنوب الفرنسي المشرق الباسم في مدينة نيس أو على مقربة منها حيث كان يقضي معظم العام على ساحل البحر الأبيض المتوسط •

ولكن هـذا التأثير المادي لا يذكر الى جانب التأثير الوجداني ، ونعني به تأثير المرأة ، وبعبارة أدق وألطف : الحب •

كان ميتر لنك لا يزال مقيما في اقليمه الفلمنكي في بلجيكا حين التقى في العاصمة البلجيكية في احدى الليالى بالمرأة التي أصبحت رفيقة حياته ونجية نفسه وموضع سره نحواً من العشرين عاما ، وهي السيدة الفنانة « جورجيت لبلان Georgette Leblanc » وكانت في ذلك الحين تغنى « تاييس » و « كارمن » وغيرهما من الأوبرات في التياترو الملكي في ميدان لامونای Place de la Monnaie الذي تحف به المقاهي والمطاعم على مختلف أنواعها ويعتبر مركز الملاهي في العاصمة • وقد اتفق هذا اللقاء في دار محام من المحامين الكبار مشهور بدعوته الى التجديد في الأدب البلجيكي ، وكان الشاب ميتر لنك يزاول في مكتبه المران على المحاماة على كره منه نزولا على ارادة والديه ، وكان صاحب الدار قد أعدّ مأدبة عشاء

عنده تقام بعد الحفلة التمثيلية التى قدم فيهـا مسرح دى بارك Theatve du Parc مسرحية « الأب » للأديب السويدى استرنبرج Strindberg وكان ميتر لنك من المدعوين الى هذه المأدبة ، فترك النحل فى بلدته تلبية للدعوة ، فهو كعادته ، سيماء الجد على سحنته ، يلتزم الصمت ويبدو كالحالم ، مع شيء من الشعور بالقلق وعدم الارتياح كشأنه فى المدينة . ولم يكن هذا الصوت الوقور المستغرق فى التفكير ليخطر فى باله أنه فى هذه الليلة سيلقى فى شخص امرأة ممتازة مرموقة هى الفنانة جورجيت لبلان ماأعده له المقدور . وكانت القاعة على حين بغتة قد سادت عليها لحظة صمت عميق ، فاذا بها قد طلعت على الحضور ، وهى تمشى الهوينى متخطِّرة متهادية ، وعلى جبينها حليةٌ من الذهب كأنها شارة السلطنة ، ومن ورائها ينسحب ثوبُها المجرور الذى يشنّف الأسماع بحفيف الحرير ، وقد قام صاحب الدار بينهما بواجب التعريف ، فبدرت منها عند تقديمه لها صيحةٌ مقتضبة خفيفة ، أما هو فقد رفع كالقروى بصره اليها مرتبكا ، وأحنى لها صَعْدَته فى غير لباقة ، على حين ردت له التحية بانحناءة من تلك الانحناءات العميقة التقليدية ، بدت فيها وكأنها الملكة الشابة البيزنطية من لطف تأديتها المراسم الملكية ، متعمدة أن تضع فى هذه الحركة كلَّ براعتها التمثيلية ، لتكون منها بمثابة تحية الفن للفن .

وفى أثناء العشاء كان ميتر لنك يطيل النظر اليها دون أن يخوض فى الحديث معها .

وكان ميتر لنك حين تم التعارف بينه وبين جورجيت لبلان مؤلفا موفور الشهرة ، عامر البدن بالعافية والصحة : ميسور الحال لايعوزه المال ، ومع ذلك فان هذا الرجل الذى أنعم عليه بكل هذه الخيرات كان فى دخيلة نفسه يعيش طول وقته مع الموت والخوف والملل . ولقد دعا الفنانة الحسناء الى بلدته « غنت » حيث أولم لها وليمة فاخرة على الطريقة الفلمنكية ، ثم خرجا للنزهة فى الشوارع الغائمة القاتمة المكتئبة ، وكان ميترلنك قليل الكلام ، ولكنه أفضى مع ذلك بجوهر الكلام ولبابه ، قال : « انى غير مؤمن لابالسعادة ولابالحب » . فاحتفظت المرأة بهذا التصريح فى سويداء قلبها ، وآلت على نفسها لتعلّمَنّه ذلك الفن الشاق ، فن التسليم للحياة والاطمئنان اليها والتعويل عليها . فما انقضى القليل حتى كان قد كتب مسرحية تختلف عما سبقها كل الاختلاف ، مسرحية لم يَعُدْ يعصف فيها عاصفُ الجزع والخوف ، بل يسرى فيها نسيم الأمل والرجاء .

لقد كان ميتر لنك لا همّ له فى مسرحياته الا تمثيل القدر المحتوم على البشر فى صُوَر الشقاء والعذاب والموت وهى مقبلةٌ علينا الواحد بعد الآخر فى خُطىً ثابتةٍ لا شيءَ يثنيها ويفتّ فى عزيمتها أو يعتاق سيرتها أو يقف فى مواجهتها فيسدّ طريقها ويحول بينها وبين فريستها ، كانت هـذه الفكرة مستبدة به مسيطرة عليه فى المرحلة الأولى من تفكيره الفلسفى ، فاذا به فى المرحلة الثانية ينفض عنه هذا التسليم للقدر ، ويتحدث عن الصراع غير مكتفٍ فيه بما كان من ذلك التخبّط السلبى ، تخبّط العاجز ، الشاعر بعجزه فى

قبضة القـدر • بل الصراع الحقيقى عفى مستوى البشر بين بعضهم البعض ، والصراع الايجابى بينهم وبين القدر على الرغم من علمهم بأن القوى غير متعـادلة • ولا عليهم من ألا يكون لهـم النصر فى آخر الأمر • ويظهر هذا الصراع واضحاً فى مسرحية « أجلافين وسليزيت » Aglavine et Sélysette عام ١٨٩٦ حيث يقـوم الصراع بين المرأتين عـلى رجـل هو مليـاندر Méleandre وهو صراع كأشد ما يكون الصراع الحقيقى ، ولكن كفة احداهمـا لا تلبث أن ترجح على كفـة الأخرى لأن العـلائق التى تربط بين « سلزيت » وهذا الرجل ليست نسبياً الا علائق سطحية على المستوى البشرى ، فى حين يزداد ما يربط المرأة الأخرى « أجلافين » بهذا الرجل توثقـاً واشـتداداً فى قوة الارتبـاط ، وتأثلاً وايغالا فى الأعماق • وذلك أن انجذاب كل من الاثنين ــ هذا الرجل وهـذه المرأة بالذات ــ الى الآخر غير مقصور على رغبتهما البشرية ، بل من ورائها قوة خفية أقوى منهما : هى تلك الجاذبية الميتافيزيقيـة التى لا نعرف كنهها ولا نملك ردّها ، ولا نستطيع غير الانقياد لهـا والنزول على أمرها •

ولا تحسبنا مخطئين اذا رأينا فى شخصية « أجلافين » شخص الفنانة « جورجيت لبلان » ، فقد كان لقاؤهما على النحو الذى جاء وصفـه فى المسرحية تماما فهما ــ كما جاء فى المسرحية ــ سواء فى المقابلـة الأولى على غير موعد ، أو فى الموعد الأول ــ لم يتبـادلا الا أبسط الكلمات وأكثرها تداولا بين عموم الناس ، فاذا بهما ــ مع ذلك ــ

يشعران بأنهما لاغنى لأحدهما عن الآخر ، ولا حياة له بغير صاحبه ، وقد بلغت قمة الجذب بينهما أن دامت صحبتهما نحواً من العشرين سنة • ولقد حرص المؤلف فى اثر تأليفه لهذه المسرحية على الكتابة الى الفنانة يحدثها عن بطلته الجديدة ، فيقول هذا الذى قال فى أول حديث بينهما : «انى غير مؤمن لابالسعادة ولا بالحب» •• يقول اليوم (لقد حملت الى « أجلافين » مالا عهد لى به • جو جديد وارادة للسعادة وقوة على الرجاء) •

ومنذ ذلك الحين دخل التغيير على مؤلفات ميترلنك المسرحية وغير المسرحية ، حتى ليشعر القارىء لهذه المؤلفات بالنقلة المفاجئة من الجو القاتم المتلبد بالضباب الى جو آخر تمزق ضبابه فعرف الاشراق ودخل اليه النور مشعشعاً هنا وهناك فى الآفاق ، وكشفت الأرض لنا عن بدائع ودائعها وأنفس كنوزها ، فاكتست بالزهر والريحان من مختلف الألوان ، وأخرجت لنا الأيام أبطالا وبطلات أقل خوفا من الحياة وأكثر شجاعة وهمة •

ولا نقصد بهذا القول الى أن ميترلنك قد تخلى عن فلسفته وعن تفكيره الدائم فى القدر والموت • كلا ، فان الشىء الذى تغير لم يكن هو القدر والموت ، وانما هو نظرة ميترلنك اليهما وطابع شعوره بهما ولون تفكيره فيهما ، حتى لنرى مؤلفنا المسرحى أميل الى جعل الشقاء والعذاب والموت فى خلفية المسرح ، وعرض ارادة الحياة ونشدان السعادة فى مقدمته •

وحسبنا للتحقق من ذلك جميعه أن نقابل بين المسرحيات التى طلع بها علينا المؤلف فى السنوات العشر الأخيرة فى القرن الغابر وهى مسرحيات المرحلة الأولى التى قدمنا للقراء عرضا موجزا لموضوعها ، وبين أشهر وأبدع مسرحياته فى أوائل القرن الحاضر ، وهى « الطائر الأزرق » التى نستأذن القراء فى أن نعفيهم من ايراد خلاصتها فهى لا تغنى عن الاستمتاع الكامل بقراءتها فى الترجمة التى بين أيدينا .

وهذه المسرحية التى ضمّنها ميترلنك ما بلغه وهو فى طور النضج من تطور فى النظر والشعور والفلسفة ، قد شاء له هذه المرة فنه ـ كما أشرنا فى مستهل كلامنا ـ أن يصبها فى قالب قصة من قصص الجنيات . وقد يبدو هذا من عجيب الأمر . ولكن الأعجب هو أن المؤلف الفنان ، بما حقق فى هذه المسرحية من نجاح لم يتحقق له فى غيرها ، أقام الدليل على أن هذا الأسلوب هو أسلوبها ، هو الأسلوب الذى يناسب ما أراد عرضه على المسرح من بحث عن السعادة ، تلك الضالة المنشودة التى افتقدها فى الطبيعة أبناء الأرض، وهؤلاء هم ـ فى المسرحية ـ يبحثون عنها فيما وراء الطبيعة على نحو رمزى بديع شاعرى لا يثقل على النفس ، بل يثير الخيال ويسكر الحس ، وعن طريق الجمال والخيال يوقظ الذهن والتفكير .

ومسرحية الطائر الأزرق من خمسة فصول فى عشر لوحات وقد كان أول عرض لها على المسرح فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٠٨ بالمسرح الفنى فى موسكو ، ثم صدرت طبعتها الأولى فى باريس

عام ١٩٠٩ ، ثم مثلت فى ترجمتها الانجليزية على مسرح هايماركت Haymarket فى لندن فى ٨ ديسمبر عام ١٩١٠ ولقد شجع نجاح تمثيلها فى الخارج على استقبال المسارح الفرنسية لها فكان أول المسارح التى فتحت لها أبوابها مسرح ريجان (وهو اليوم مسرح باريس) فى الثانى من مارس سنة ١٩١١ وهى السنة التى حصل فيه على جائزة نوبل •

وبعد ما قدمناه من التعريف الوافى بهذا المؤلف من أعلام المسرح الرمزى «موريس ميترلنك»، وتحليل مسرحياته الرمزية فى المرحلة الأولى ثم فى المرحلة التالية، مع عرض سريع للفكرة التى قامت عليها أشهر وأبدع مسرحياته الأخيرة ؛ وهى «الطائر الأزرق» ، نرى لزاما علينا أن نحيى الكاتب الروائى العربى الأستاذ يحيى حقى على ما اضطلع به من هذا التعريب الدقيق البليغ للمسرحية التى بين أيدينا ، مع الحفاظ على خصائصها الجامعة بين الفلسفة والتصوف وروح الطفولة ، حتى جاء تعريبه للنصوص من واقع أصلها ، من حيث الأمانة فى نقلها وحسن المطابقة لها ، كصورة الحسناء فى مرآتها فاليه نزف تحيات الشكر والتقدير على لسان قرائها •

عبد الرحمن صدقى

الفصل الأول

الطائر الأزرق

١ ــ المنظر الأول : كوخ الحطاب

(المسرح على هيئة كوخ حطاب من الداخل ، بسيط المظهر، ريفي البناء والمتاع ولكنه لا ينم بحال عن تعاسة العوز والفاقة ، مدفأة مستورة لأنها محفورة داخل الجدار ، بها حطب نعست ناره ، آنية مطبخ ، صوان ، صندوق لحفظ الخبز ، ساعـــة طويلة موروثة عن الأجداد ، تعمل بثقالين ، عجلة مغزل ، حـــوض للغسيل الخ الخ ، مصباح مضيء على منضدة ، أمام الصـــوان كلب في جانب وهرة في الجانب الآخر ، كلاهما يرقد وقد تقبض جسده وجمح أنفه الى ذيله ، وبين الاثنين قمع سكر كبير ملون بالتناوب بالأبيض والأزرق ، قفص مستدير مثبت على الجدار ، به عصفور ، في غيابة الكوخ نافذتان ، خصاصهما مغلق، تحت احدى النافذتين دكة من الخشب ، على اليسار: الباب الأمامي للكوخ ، عليه مزلاج كبير ، باب آخر على اليمين ، سلم يدوي من الخشب ، يؤدي الى المخزن ، على اليمين أيضا مهدان من الخشب ، على رأسيهما كرسيان فوقهما ثياب مطبقة بعناية •

عند رفع الستار نرى الولد « تيلتيل » والبنت « ميتيل » يغطان في سبات عميق في مهـــديهما ، « ماما تيــــل » تحبك الغطاء حولهما وتنحني عليهما تتأملهما لحظة وهما نائمان ، ثم تشير الى « بابا تيل » وقد أبرز رأسه من الباب الموارب ، فتضع « ماما تيل » سبابتها على فمها لتفرض عليه بالأشارة التزام الصمت ، ثم تخرج الى اليمين وهي تمشي على أطراف أصابعها ، وكانت قد أطفأت المصباح أولا ، يغرق المسرح في الظلام برهة وجيزة ، ثم يتسلل من خصاص النافذتين نور يزداد توهجه ، يضاء المصباح ثانية من تلقاء ذاته ، ولكن بنور يختلف عن نوره حين أطفأته « ماما تيل » ــ ثم اذا بالطفلين كأنهما قد استيقظا وجلسا في مهديهما) •

تيلتيل : ميتيـل ! (١)

ميتيـل : تيلتيـل ! (١)

هـو : أنائمـة أنت ؟

هـى : وأنت ؟

هـو : كلا وها أنذا أكلمك فكيف أكون نائما .

هـى : قل لى ، هل اليوم هو يوم يجىء عيد الميلاد ؟

هـو : لم يحن مجيئه بعد ، ان موعده غدا ، ولكن عمّنا العيد لن يأتى لنا بشىء هـذه السنة .

هـى : ولمـاذا ؟

هـو : سـمعت أمى تقـول انهـا لم تستطع الذهـاب للمدينة لتلفت نظره الينا ، ولكنه سيأتى فى السنة القادمـة .

هـى : أبعيد موعـده فى السنة القادمة ؟

هـو : لا أقول انه جدّ قريب ، ولكن عمّنا العيد سيأتى الليلة الى الأطفال الأغنياء .

هـى : حقـا ؟

---

(١) اختصار للأسماء المتشابهة رأينا الاشارة الى تيلتيل فيمـا بعـد بكلمة (هو) والى ميتيل بكلمة (هى) .

هـو : أنظرى ، قد نسيت أمنا أن تطفىء المصباح ، عندى فكرة ...

هي : ما هى ؟

هو : هيَّا بنا نقوم من فراشنا .

هى : هذا مُحرّم علينا .

هو : لا ضير ، فما من أحد يرقبنا ، أترين خصاص نوافذنا ؟

هى : ما أبهى النور الذى يتخلّله .

هو : انه نور الحفل .

هى : أىّ حفل هو ؟

هو : أمامنا ، عند الأطفال الأغنياء ، انها شجرة عيد الميلاد ، سنفتح النافذة .

هى : أمباحٌ لنا أن نفعل هذا ؟

هو : أىْ نعم ، ما دمنا وحدنا . أتسمعين الموسيقى ؟ فلننهض !

(ينهضان ويجريان الى احدى النافذتين ويصعدان فوق الدكة ، ويدفعان مصراعى النافذة فيعم الحجرة نور ساطع ، يتطلع الاثنان بشغف للخارج) .

تيلتيل : ملكنا رؤية كل شيء ٠

ميتيـل : (وقدمها لا يفوز الا بوقفة غير مطمئنة على حافـة الدكة) أمّا أنا فلا أرى شـيئا ٠

هـو : الثلج ينهمر ، أرى عربتين تجرّ كُلاّ منهما ستة جياد ٠

هـى : وينزل منها اثنا عشر صبيا ٠

هـو : يا لك من مغفّلة ! انهن بنات ٠

هـى : لا أرى الا سراويل تلفّ السيقان ٠

هـو : نعـم الخبـيرة أنت بلبس البنـات والصبيــان ! لا تدفعينى هكذا ٠

هـى : لم ألمسك ٠

هـو : (وهو يحتكر الدكّة لنفسه) أنت تحتلين الدكة كلها بمفردك ٠

هـى : كيف وأنا لا أجد فوقها موضعا لقدمى ٠

هـو : الزمى الصمت اذن ، انى أرى الشجرة ٠

هـى : أىّ شجرة تعنى ؟

هـو : شجرة عيد الميلاد ، أنت لا ترينها لأنّ نظرتك مصوّبة للجدار ٠

هـى : هى كذلك لأنه لم يبق لى مكان فوق الدكة .

هـو : (وهو يتخلّى لها بشَحّ عن طـرف من الدكة) الآن هـل اطمأنت وقفتك وفزت علىّ ؟ يا لهـا من أنوار فوق أنوار .

هـى : ماذا يفعل هؤلاء القـوم الذين يثيرون كل هـذه الضجة ؟

هـو : انهم يعزفون الموسيقى .

هـى : أهم فى حدّة من الغضب ؟

هـو : كلا ، وانما عملهم مرهق .

هـى : ها هى ذى عربة أخرى تجرّها جياد بيض .

هـو : الزمى الصمت واكتفى بالنظر .

هـى : ما هذه الحلية المذهّبة المعلقة بالغصون ؟

هـو : انها لُعب ولا ريب ، سـيوف وبنـادق ، وجنـد ومدافـع .

هـى : والعرائس ؟ هل هناك عرائس معلقة أيضا ؟

هـو : عرائس ! انها لُعب سخيفة لا تروقهم .

هـى : ما كل هذا الذى نُشر من فوق المـائدة ؟

هـو : كمك وفاكهة وفطيرة محشوة بالقشدة ٠

هـى : أكلت من أمثالها مرة فى صغرى ٠

هـو : وأنا كذلك ، انه طعام ألذّ من الخبز ولكن هـذه الحلوى لا يُبذل لنا منها الا بقدر ضئيل ٠

هـى : وليس هذا هو حالهم ، انها مبذولة لهم تغصّ بها المـائدة ٠ أسـيأكلون كل هذه الحلوى ؟

هـو : نعم ولا ريب ، فماذا عساهم يفعلون بها ؟

هـى : ولمـاذا لا يأكلونها من فورهم ؟

هـو : لأنهم غير جياع ٠

هـى : (وقد غلبتها الدهشة) غير جياع ؟ ولمـاذا ؟

هـو : لأنهم يأكلون منها متى أرادوا ٠

هـى : « وهى غير مصدقة » كل يوم ؟

هـو : هكذا يقال ٠

هـى : هل يأكلونها كلها ولا يجودون منها بشىء ؟

هـو : على مَنْ ؟

هـى : علينـا ٠

هـو : انهم لا يعرفوننا ٠

هـى : فلو سألناهم .

هـو : هذا غير جائز .

هـى : ولماذا ؟

هـو : لأنه عيب .

هـى : « وهى تصفق فرحا » أوه ، ما أجملهم !

هـو : « فى حماس » انهم غارقون فى الضحك .

هـى : وهؤلاء الصغار الذين يرقصون ؟

هـو : نعم نعم ،فلنرقص نحن أيضا .

(يتواثبان من الفرح فوق الدكة) .

هـى : يا لها من بهجة .

هـو : الكعك يُقدّم لهم ، ان أرادوا لمسه بأصابعهم فعلوا ، انهم يأكلون ويأكلون ويأكلون ..

هـى : حتى الصغار منهم ، أكلوا من الكعك مثنى وثلاث ورباع .

هـو : « وقد أسكره الطرب » يا لها من لذة ، يالها من لذة .

هـى : « وهى تزعم فى الوهم انها تعد قطعا من الكعك » قد فزت أنا باثنتى عشرة كعكة .

هــو : أما أنا فقد نلت أربعة أمثـال نصيبك ، على أننى سأعطيك منها .

« يدق باب الكوخ ، تيلتيل وقد جمد وتملكه الخوف ، مخاطبا أخته » .

هــو : تُرى من يكون الطارق ؟

هــى : « فى رعب » انه بابا .

(واذ يتوانيان عن فتح الباب يشاهــد مزلاجه الغليظ يرتفع من تلقـــاء ذاته ، ويسمع له صرير ، ثم ينشق الباب عن امرأة عجوز ضـئيلة تلبس ثوبا أخضر وصـــدارا أحمر ، هى حدباء عرجاء عوراء ، أنفها تقوس حتى لامس ذقنهـا ، تمشى محنية الظهر تتوكأ على عصى ، لا سبيل للعين أن تخطىء أنها جنية) .

الجنية : هل عندكم العشب الذى يدندن والطائر الذى لونه أزرق ؟

هــو : لدينا عشب ولكنه لا يدندن .

هــى : تيلتيل عنده الطائر .

هــو : ولكنى لا أفرّط فيه .

الجنية : ولمـاذا ؟

هــو : لأنه ملكى .

الجنية : هذا سبب وجيه ولا ريب ، وأين هو هذا الطائر ؟

هـو : « مشيرا الى القفص » انه فى هذا القفص .

الجنية : « تلبس نظّارتها لتتفحّص الطائر » انه ليس مطلبى ، ينبغى أن تذهبا لتبحثا لى عن الطائر الذى أريده .

هـو : ولكنى لا أدرى أين هو .

الجنية : ولا أنا ، من أجل هذا ينبغى البحث عنه ، اننى أستطيع اذا يئست أن أتنازل عن العشب الذى يدندن ولكنى لا بُدّ لى من أن أجد الطائر الأزرق ، انه لازم لابنتى الصغيرة ، هى فى شدة المرض .

هـو : وما مرضها ؟

الجنية : لا أحد يدرى حقيقته ، انها تريد أن تكون سعيدة .

هـو : حقا ؟

الجنية : أتعرفان من أنا ؟

هـو : انك تشبهين قليلا جارتنا الست غُريبّة .

الجنية : (وقد تملكها الغضب فجأة) لا شبه مطلقا ، شتان ما بيننا ، هذه اهانة بليغة ، اننى الجنية غرباوية .

هــو : آه ، صدّقنا كلامك .

الجنية : ينبغى المضىّ فورا .

هــو : ألست آتية معنا ؟

الجنية : هــذا مستحيل ، بسبب الحساء الذى أقمته هــذا الصباح على النار فانه يهــدد بالفوران والاندلاق اذا ما غبتُ عنه أكثر من ساعة ، (تشير بالتوالى الى السقف والمــدفأة والنــافذة ، من أين تريدان الخروج ؟ من هنا أو من هنا أو من هناك ؟

هــو : (وهو يشير بتهيّب الى الباب) الأفضل أن أخرج من هناك .

الجنية : (وقد عاودها الغضب المفاجىء) هذا مستحيل كل الاستحالة ، ثم ان الخروج من الأبواب ليس الا عادة سخيفة ، (تشير الى النافذة) ســنخرج من هناك ، وبعد ، ففيم انتظاركما ؟ ارتديا ثيابكما على الفور (يطيعهــا الاثنــان ، ويرتديان ثيابهما على عجل وتمضى الجنية قائلة) سأساعد ميتيل .

هــو : ليس لدينا أحذية .

الجنية : ليس هــذا بالمُهم ، ســأهبكما قلنســوة صــغيرة مدهشة ، أين والداكما ؟

هـو : « مشيرا الى الباب الأيمن » انهما هناك ، نائمين ..

الجنية : وأين جدّكما وأين جدتكما ؟

هـو : مات الاثنان .

الجنية : واخوتكما واخواتكما الصغار ، أليس لكما اخوة وأخوات ؟

هـو : نعم نعم ، لنا ثلاثة أخوة صغار وأربع أخوات صغيرات .

الجنية : وأين هم ؟

هـو : ماتوا هم أيضا .

الجنية : أتريدان رؤيتهم من جديد ؟

هـو : نعم نعم ، على الفور ، الآن ، دعينا نراهم .

الجنية : انهم ليسوا فى جيبى ، ولكن بختكما حسن ، فسيتاح لكما رؤيتهم وأنتما تعبران « أرض الذكريات » فى طريقكما الى الطائر الأزرق ، على اليد اليسرى فور اجتياز ثلاثة مفارق ، ماذا كنتما تفعلان حين دقفت الباب ؟

هـو : كنا نلعب زاعمين أننا نأكل الكعك .

الجنية : وأين هو ؟

هـو : في قصر الأولاد الأغنياء ، تعالى أنظرى ، ما أبهاه من مشهد « يجر ان الجنية الى النافذة » .

الجنية : (وهى بالنافذة) ولكن أفواها غير أفواهكما هى التى تأكله .

هـو : نعم ولكن يكفينا أن نرى أكلهم من هنا .

الجنية : أ فى قلبكما موجدة عليهم ؟

هـو : ولماذا ؟

الجنية : لأنهم يأكلون الكعك كله ، انه لخطأ كبير منهم أن لا يبذلوا لكما شيئا مما يأكلون .

هـو : لا يبذلون لأنهم أغنياء ، ما رأيك فى بيتهم ؟ كم هو جميل .

الجنية : انه ليس أجمل من بيتكما .

هـو : هيهات ! بيتنا أقل ضوءا ورحابة ... وليس به كعك .

الجنية : ليس هناك أقل فرق بين بيتهم وبيتكما ، انما أنت لا ترى .

هـو : بالعكس ، اننى أحسن الرؤية ، وعيناى لا تنقصهما حدة البصر ، أننى على خلاف أبى أتبين من بعيد عقارب الساعة فى قمة برج الكنيسة .

الجنية : « تغضب فجأة » أقول لك انك لا ترى ، قـلْ
لى اذن كيف ترانى ؟ ما هو شـكلى فى نظـرك ؟
(تيلتيل يلوذ بصمت المتحرّج) هيّا ، أجبنى حتى
أعـرف ان كنت ترى ، أأنا جميـلة أم دميمة ؟
(يمتـد الصمت ويزداد الحـرج) ألا تريد أن
تجيبنى ؟ أأنا صبية أم عجوز ؟ وبشرتى ؟ أفى لون
الورد أم هى مصفرّة كالحـة ؟ ولعلّ لى أيضـا
حدبة فوق ظهرى ..

هـو : « وهو يسترضيها » لا ، لا ، ان حـدبتك ليست
كبيرة .

الجنية : نعم ، لى حدبة ، ولكن دهشة نظرتك اليهـا تنبىء
أنك تراها آية فى الضخامة . ألى أنف معقوصـة
وعين مفقوءة ؟

هـو : لا ، لا ، انى لا أتبيّن ذلك ، ولكنْ مَنْ الذى
فقأها ؟

الجنية : (وقد زاد تململها) ولكنها ليست مفقوءة يا وقح،
يا لعين ، انهـا أجمل من أختهـا ، هى أوسـع
وأصفى ، ان لونها من زرقة السماء ، وشـعرى
هل تراه ؟ انه أشقر كسنابل القمح بل قد يُظن
أنه من العسجد الخالص ، ولى من هـذا الشعر

ثروة تثقل رأسى وتفيض من كل جانب ، ها هو ذا على يدىّ ، ألا تراه (تعرض عليه جديلتين نحيلتين من شعر أشهب) •

هو : نعم ، انى أرى جديلة من شعرك •

هى : تقول جديلة ؟ انها حزمة ملء الذراعين كالنبت الملتفّ ، هى ذوب عسجد ، انى عالمة أنّ بين الناس نفر يزعم انه لا يرى منه شيئا ، ولكنك ـ فيما أؤمل ـ لست من هذا النفر الأعمى الخبيث ؟

هو : كلا كلا ، اننى أرى كل ما تكشّف للعين منه •

الجنية : ولكن ينبغى أن ترى بقيته بشطارتك المعهودة ، ما أعجب بنى الانسان ! منذ أن انقضى عالم السحر قد طمست أبصارهم وخبتْ مداركهم ، ومن حسن الحظ اننى مزوّدة دائما بكل ما يبعث النور فى العيون المنطفئة • فما هذا الذى أُخرجه من كيسى ؟

هو : أوه ، ما أجملها من قلنسوة صغيرة خضراء ، وما هذا الذى يبرق فى زرّها ؟

الجنية : انها الماسة الكبرى التى نورها هو جلاء العيون•

هو : حقا ؟

الجنية : نعم ، حين تضع القلنسوة على رأسك تدير الماسة قليلا من اليمين الى اليسار ، مثلا هكذا ، أرأيت؟ انها حينئذ تضغط على عظم نافر فى الرأس لا يعرفه أحد وهو الذى يفتح العينين •

هـو : وهل سأحس بألم ؟

الجنية : على العكس ، انه سحر ستحس بلطفه ، وفى اللحظة ذاتها تتجلى لك سريرة الأشياء ! سريرة الخبز والنبيذ والفلفل •

هـو : وتتجلى لى أيضا سريرة السكر ؟

الجنية : طبعا ، انى لا أحب الأسئلة الفارغة ، ان سريرة السكر لا تفضل سريرة الفلفل ، والآن ها أنذا أمنحكما كل ما تحتاجان اليه من أجل البحث عن الطائر الأزرق ، اننى لا أجهل أن « خاتم المُلك » الذى يحجب لابسه عن الأنظار ، وأن البساط الطائر أنفع لكما ، ولكنى أضعت مفتاح الخزانة التى كنت خبأتهما فيها ، آه ! كدت أنسى ، (تشير الى الماسة) حين تضع يدك عليها وتديرها مرة أخرى قليلا هكذا فستكتشف لك الماضى ، ثم تديرها أيضا قليلا فيتكشف لك المستقبل ، انها شىء عجيب نافع يعمل فى صمت •

هـو : ان بابا سيأخذها منى •

الجنية : انه لن يراها ، لن يقدر أحد أن يراها ما دامت على رأسك • أتريد أن تجرّب (تضع القلنسوة الصغيرة الخضراء على رأس تيلتيل) والآن ، أدر الماسة وانظر ••

(ما يكاد تيلتيل يدير الماسة حتى يحدث تغير عجيب يشمل كل الأشياء بغتة، وتنقلب الجنية العجوز فجأة الى أميرة جميلة رائعة البهاء وتضيء حجارة الصوان المبنية بها الجدران بلمعان الياقوت الأزرق ، وتصبح شفافة براقة تخطف الأبصار شأن الأحجار الكريمة ، الأثاث الفقير تدب فيه حياة ذات بهاء ، المنضدة المصنوعة من الخشب الأبيض تصبح تنطق بالوقار والمجد مثل منضدة من المرمر ، ووجه الساعة يغمز بعينه ،ويبتسم ببشاشة ، على حين ينفتح غطاء دولابها الذى يتأرجح رقاصها من ورائه يمينا ويسارا ثم تنطلق منه الساعات وهي مشبكة الأيدى مجلجلة الضحكات ، وتأخذ في الرقص على نغم حلو ، وحق لتيلتيل أن يدهش) •

هـو : هاته الآنسات الجميلات ، من هنّ ؟

الجنية : لا تخف ، انهن ساعات عمرك ، هُنّ في غمرة من الحبور اذ ملكن الحرية والانكشاف للأعين مدى برهة ولو وجيزة •

هـو : ولماذا تتلألأ الجدران ؟ أهى من السكر أم من الأحجار الكريمة ؟

الجنية : كل الأحجار سواء ، كل الأحجار كريمة ، ولكن الناس لا ترى الا قِلّة منها .

(واذ يدور هذا الحوار بينهما تتوالى لمسات السحر حتى تبلغ كمال غايتها ، وتبرز سرائر الأرغفة على شكل أقزام فى سراويل بلون قشرة الخبز الجاف ، سكارى من الدهشة ، تتناثر فوقهم الدقيق ، ويخرجون فى صندوق الخبز فيدورون حول المنضدة فى خطى مرحة عابثة فتعترضهم سريرة « النار » التى قفزت من المدفأة وهى فى سروال أصفر وقرمزى وتتلوى من الضحك وهى تطارد سرائر الأرغفة) .

هـو : وهؤلاء الأقزام الأمساخ ، من هم ؟

الجنية : ليس أمرهم بالجلل ، انهم سرائر الأرغفة ينتفعون بسفور عالم الحقيقة ليخرجوا من سجنهم فى الصندوق الضيّق .

هـو : وهذا العفريت الأحمر كريه الرائحة ؟

الجنية : اسكت ، لا ترفع صوتك ، انها النار ، وهى شرسة الخُلق .

(لا يقطع هذا الحوار توالى لمسات السحر ، فاذا بالكلب والهرة وهما نائمان

مكوران الى جانب الصوان يطلقان معا فجأة
صرخة عالية ثم ينشق تحتهما غطاء سرداب
ويبلعهما فيختفيان ويبرز بدلهمـــا قزمان
أحدهما يتلثم بقناع على هيئة وجه كلب من
فصيلة « البولدوج » وقناع الآخر على هيئة
وجه هرة ، فاذا بالقزم الذى يلبس قنـــاع
البولدوج (وسنكتفى فيمـــا يلى بكلمـــة
« الكلب » لتسميته) • يرتمى على تيلتيل
يعانقه ويرشقه بقبلات هوج،ويغرقهحتى
يشل حركته بتمسحات زائطة متأججة ، على
حين أن الفتاة القزم الملثمة بقنـــاع الهرة
(وسنكتفى فيما يلى بكلمـــة « الهـــرة »
لتسميتها) تشرع تتمشط وتلعق يديهـــا
وتسوى شاربها من قبـــل أن تقترب من
ميتيل) •

الكلب : (وهو ينبح ويقفز وينفلت عياره فيخبط كل شيء في طريقه بتهوّر لا يطاق) مولاى الصغير أهلا، أهلا بمولاى الصغير ، وأخيرا ، أخيرا ، استطعت أن أتكلم ، ان لدىّ أشياء كثيرة أود أن أقولهـا لك فلم يُسعفنى ويفصح عنى نباح ولا هزّ ذيلى، وكنت لا تفهم عنّى ، أما الآن ، أما الآن فمرحبا بمولاى ، انى أحبك ، أحبّك ، أتريد أن أريك بعض ألعابى المدهشة ؟ أن أقف وقفة المستجدى ؟ أن أسـير على يدىّ وحـدهما ؟ أن أرقص على قدمىّ وحدهما ؟

هــو : (للجنية) من هذا التنيّد الذى له وجه كلب ؟

الجنية : ألا تدرك ؟ انهـا سريرة كلبك « تيـلو » وقـد استنقذتها أنت من الأسـر •

الهرة : (تمد الى ميتيل يدا موقرة متهيبة) تحية يا ستى، ما أجملك هذا الصباح •

هـى : تحية سيدتى (الى الجنية) من تكون ؟

الجنية : من السهل أن ترى بنفسك أنهـا سريرة هرتك « تيليت » التى تمد اليك يدها فامنحيها قبلة منك •

الكلب : (وهو يزحزح الهرة) وأنا أيضا أريد أن أقبل مولاى الصغير ، وأقبل ستى الصغيرة ، انى أريد تقبيل الجميع هنا ، ما أسعدنى ! سيطيب لنا لهـو كثير • سأبدأ بأن أخيف تيليت ، هاو ، هاو ، هاو (ينبحهـا) •

الهرة : (للكلب) سيدى ، انى لا أعرفك •

الجنية : (وهى تزجر الكلب بعصاها السحرية) أما أنت فالزم الهدوء والا رددناك الى عالم الصمت الى يوم القيامة •

(وفى عين الوقت تكون لمسات السحر ماضية فى عملها ، تنطلق فى ركن الحجرة عجلة « المغزل » وتدور بسرعـة هوجاء ، وتنسج أشعة من ضياء ذات بهاء ، يبـدأ

الصنبور فى ركن آخر يصفر بصوت عالِ وتنبعث منه نافورة مضيئة تملأ الحــوض بجدائل من اللؤلؤ والياقوت ، تنفلت منها سريرة المــاء على هيئة فتاة شابة تتساقط منها القطرات ، شعرها مشعث ونشيجهـا مرتفع وتبدأ من فورها عراكهـا مع سريرة النار) .

تيلتيل : ومن تكون هذه السيدة المبلّلة ؟

الجنية : لا تخف ، انها سريرة المــاء قد انفلتت من الصنبور

(ينقلب ابريق اللبن ويقع من على المنضدة ويتحطم على الأرض وينبعث من اللبن المراق شخص أبيض خجول كأنه يتهيب كل شىء حوله) .

هــو : ومن تكون هذه السيدة الخائفـة التى طلعت لنـا بقميص النوم ؟

الجنية : انه اللبن وقد كسر اناءه .

« نرى قمع السكر أمام الصوان يأخذ فى النمو ويزداد حجمه ويمزق ورق غلافـــه وينبعث منه شخص يصطنع الرقة وهـــو بادى النفـــاق ، يرتدى معطفـا ملونا على التوالى بالأبيض والأزرق ويتقدم الى ميتيل وعلى شفتيه إبتسامة تزعم التقى والورع » .

ميتيــل : (فى قلق) ماذا يريد ؟

الجنية : انه سريرة السكّر .

هـي : (وقد اطمأنت) هل عنده حلوى « نبوت الخفير » .

الجنية : ليس في جيوبه شيء سواها ، وكل أصبع في يده « نبوت خفير » .

(يسقط المصباح من على المنضدة وما يكاد يفعل حتى يتصاعد وهجه على هيئة فتاة عذراء وضاءة فائقة الجمال ، تجللها غلالات شفافة براقة وتجمد في مكانها كأنها في وجد) .

هـو : انها الملكة !

هـي : انها العذراء البتول .

الجنية : كلا يا أولادي ، انها بسمة النور .

(واذ يحدث هذا نرى الطواجن النحاسية على الرف وهي تدور على محاورها كلعبة النحلة ، وينفتح باب الصوان على مصراعيه يدوي ، ويلفظ سيلا رائعا من أقمشة بعضها في لون أشعة القمر وبعضها في لون أشعة الشمس يختلط بها سيل لا يقل روعة من الخرق والمزق يهبط على السلم من المخزن ، ثم يقرع الباب الأيمن فجأة بدقات ثلاث عنيفة نوعا ما) .

هـو : (في خوف) انه بابا ، قد سمعنا .

الجنية : أدر الماسة من الشمال الى اليمين (تيلتيل يدير الماسة بعنف) لا تعفرتها هكذا ، يا الهي ! لقد

تأخرنا فضاعت الفرصة من أيدينا ، أنت أدرتها
بعجلة شديدة ، لن يبقى لمن حولنا وقت للعودة
الى أماكنهم المألوفة ، وسنلقى متاعب كثيرة .

(ترتد الجنية الى امرأة عجوز ، تطفىء
جدران الكوخ ضياءها ، وتؤوب الساعات
الى مثواها ، وتكف عجلة المغزل عن
الدوران ، الخ الخ . ويعم المكان هرج
ومرج ، وربكة ، تجوب النار أرجاء الحجرة
فى حركة هوجاء لتبحث عن المدفأة ، واذ
تفعل ذلك نرى رغيفا يعجز عن الاندساس
فى صندوق الخبز فينفجر بكاؤه وتدوى
صرخات فزعه) .

الجنية : ماذا حدث ؟

الرغيف : لم يبق لى مكان فى الصندوق .

الجنية : (تنحنى فوق الصندوق) بل فيه مكان ، فيه مكان
لك ، (تدفع الأرغفة التى سبقت فاحتلت مكانها
القديم فى الصندوق) هيا ، هيا ، اسرعوا ،
انتظموا ، أفسحوا بينكم مكانا .

(يدق الباب من جديد) .

الرغيف : (وهو مرتعب مُضيّع يجاهد عبثا للدخول الى
الصندوق) لا وسيلة للدخول ، سأكون أول
ما يأكله .

الكلب : (وهو يتواثب حول تيلتيل) مولاى الصغير ! انني لا أزال هنا ، لا أزال أستطيع الـكلام ، لا أزال أستطيع تقبيلك مرة ، وثانية ، وثالثة •

الجنية : ماذا ؟ أنت أيضا لم تنصرف بعد ؟

الكلب : انني محظوظ اذ لم الحق العودة الى عالم الصمت فان غطاء السرداب كان أسرع منى فانقفل وبقيت •

الهرة : كذلك كان شأنى ، ماذا سيحدث ؟ هل ستواجهنا أخطار ؟

الجنية : يا الهى ! ينبغى أن أصارحكم بالحقيقـة ، كل من سيصحب الصبيين فى رحلتهما سيموت عند نهايتها •

الهرة : ومن لا يصحبهما ، ما مصيره ؟

الجنية : يمتد أجله قليلا •

الهرة : (للكلب) تعال نأوى الى السرداب •

الكلب : كلا ، كلا ، لا أطاوعك فانى أحب أن أصـحبه مولاى الصغير وألا أكف عن مناجاته •

الهرة : يا لك من غر أبله !

(الباب يدق مرة أخرى) •

الرغيف : (وهو يذرف دموعا ساخنـة) لا أريد أن أموت

عند نهاية الرحلة ، أريد أن أدخل فورا الى الصندوق •

النار : (وهى لا تنفك تدور فى الحجرة بحركة هوجاء وترسل أزيزا ينم عن كربها) لم أعد أجد المدفأة •

الماء : (وهى تحاول عبثا الرجوع الى الصنبور) لم أعد أملك العودة الى الصنبور •

قمع السكر : (وهو يطوف باضطراب حول مزق غلافه) قد مزّقت غلافى •

اللبن : (فى سكينة وخجل) قد كسرت ابريقى الصغير •

الجنية : يا لهم من أغبياء ، أغبياء جبناء ، ان بقاءكم فى صندوقكم السكريه وفى سراديبكم وصنبوركم أفضل عندكم من مصاحبة الصبيين للبحث عن الطائر الأزرق •

الجميع : (فيما عدا الكلب وبسمة النور) نعم ، نفضل العودة فورا ، الى صنبورى ، الى صندوقى ، الى مدفأتى ، الى سردابى •

الجنية : (الى بسمة النور وهى تصوّب نظرة حالمة الى حطام مصباحها) وأنت يا بسمة النور ما قولك ؟

بسمة النور : سأصحب الصبيين •

الكلب : (وهو يهتف بفرح) وأنا أيضا ، أنا أيضا •

الجنية : هذه شيمة أفضل ، على كل حال قد فات أوان النكوص ، لم يبق لكم خيار ، ستخرجون كلكم معنا • ولكن أنت يا نار ، لا تقتربى من أحد ، وأنت يا كلب ، لا تشاكس الهرّة ، وأنت يا ماء اصلبى عودك وحذار أن تندلقى أينما حللت •

(لا يزال الباب الأيمن يدق بعنف) •

تيلتيل : (وهو يتسمّع) هذا الدق مذ بدأ : هو دقّ بابا ، انه نهض من فراشه وأنا أسمع خطوه •

الجنية : لنخرج من النافذة • ستأتون جميعا الى بيتى • لا تخير لكل حيوان ولكل شىء ما يليق به من الثياب ، وأنت يا رغيف ، خذ معك القفص لنضع فيه الطائر الأزرق ، ستكون حارسه المسئول عنه ، هيا هيا ، لا نُضع الوقت •

(تتسع النافذة فجأة وتصبح بمثابة باب فيخرجون منها جميعا ثم تعود الى وضعها الأول وتقفل مصراعيها وهى تزعم البراءة ، تعود الحجرة للظلام ويختفى المهدان فى العتمة ، ينفتح الباب الأيمن الى آخره ويظهر فى اطاره بابا وماما تيل) •

بابا تيل : لا شىء مريب ، لم يكن الا صرير الجنادب •

ماما تيل : وهل نملك تيين أولادنا ؟

بابا تيل : نعم ولا ريب ، انهما نائمان فى هدوء ٠

ماما تيل : انى أسمع أنفاسهما ٠

(ينقفل الباب) ٠

« **ستار** »

٤٩٧ ب

الفصل الثانى

المنظر الثانى : بيت الجنيـة

(بهو فخم فى قصر الجنيـــة غرباوية ، أعمـــدة من المرمر لهـــا تيجان من الذهب والفضة ، سلالم ومقاصير وشرفات الخ الخ يدخل الى غيابة المسرح من اليمين كل من الهرة وقمع السكر والنار وهم فى ثيـــاب بديعة ، انهم خرجوا من حجرة ترسل فيضا من الأضواء ، هى خزانة ثياب الجنيـــة ، تلفعت الهرة بغلالة بيضاء شـفافة فـــوق قميص لها من حرير أسود ، وارتدى قمع السكر ثوبا من الحرير مزدوج اللون : أبيض وأزرق حائل ، ولبست النار معطفا طويـلا قرمزى اللون ، مبطنا بالذهب ، ووضـعت فوق رأسها ريشة متعددة الألوان ، يخترقون البهو كله طولا حتى يبلغوا مقدمة المسرح فتجمعهم الهرة فى مقصورة) .

الهرة : من هنا ، اننى خبيرة بكل مسالك هذا القصر الذى ورثته الجنيّة غرباوية عن صاحب اللحية الزرقاء ، لقد ذهبت هى والصبيّان لزيارة ابنتها ، فلنغتنم فى غيبتهم آخر دقيقة ننعم فيها بحريتنا ، جمعتكم هنا من أجل أن نبحث معا هذا الموقف الذى وجدنا أنفسنا فيه ، فهل ينقصنا أحد ؟

قمع السكر : ها هو ذا الكلب يخرج من خزانة الملابس ٠

النـــار : عجبي ! أيّ ثوب هذا الذي يرتديه !

الهرة : انه اصطفى لنفسه رداء الخادم الذي يحرس عربة ساندريللا ، لعمري لقد اختار ما يليق به ، لأن له طبع الخدم ، فلنختبيء في هــذه الشرفة فاني لتأخذني من الكلب ريبة أعجب لها ٠ والأفضل أن لا يسمع ما سأقوله لكم ٠

قمع السكر : جهد ضائع فقد دلته حاسة الشمّ علينا ، انظروا ها هي ذي سريرة المــاء تخرج أيضا من خزانة الملابس ، ما أبهى جمالها ٠

(يلتحق بهم الكلب والمــاء) ٠

الكلب : (وهو يتواثب) انظـروا ، انظـروا الى جمالنــا وبهائنا ، الى هــذه الدنتلا وهــذه الزركشة ، ان خيوطها من ذهب خالص ، لا ريب فيه ٠

الهرة : (الى المــاء) يخيــل الى أن ثوبــك ليس بغريب عليّ ، لقد سمعت وصفه في أحدوثة للأطفال ٠

المـــاء : نعم نعم ، اني وجدته فوق ذلك أليق الأثواب لي ٠ وجهلت أن لابسة هــذا الثوب ينبغي أن تحمــل مظلة لا تفارقها ٠

الماء : لا أفهم ، ماذا تعنين ؟

النار : لا شيء ، لا شيء •

الماء : (تهزأ بالنار وتعرّض بأنفها) ظننتك تتحدثين عن أنف حمراء متورّمة رأيتها أخيرا ••

الهرة : هيا هيّا ، كفوا عن النقار والشجار ، فأمامنا شيء أفضل نفعله ، أصبح لا ينقصنا الا الرغيف • أين هو ؟

الكلب : هو يقيم الدنيا ويقعدها من أجل أن يختار ثوبه•

الهرة : حقّ لمن بدت بلاهته وبرز كرشه أن ينقب ويتخيّر ••

الكلب : وأخيرا اصطفى له طيلسانا من لباس الأتراك محلّى بالفصوص وله خنجر وعمامة •

الهرة : ها هو ذا قادم الينا ، انه اختار أجمل رداء لصاحب اللحية الزرقاء •

(يدخل الرغيف مرتديا الثوب الذى وصفناه ، هو طيلسان من الحرير قد ضاق بكرشه البارز فلم تنعقد أزراره فوق بطنه الا بمشبقة ، للرغيف يد على مقبض الخنجر المثبت على حزامه ، واليد الأخرى ممسكة بالقفص المعد للطائر الأزرق) •

الرغيف : (وهو يرقص أمامهم فى خيلاء وغرور) والآن، كيف تروننى فى هذا الطيلسان ؟

الكلب : (وهو يتواثب حوله) ما أجمله ! ما أسخفه ما أجمله .. ما أسخفه .

الهرة : (للرغيف) وهل ظفر الصبيان بثوبين لهما ؟

الرغيف : كان من نصيب السيّد تيلتيل ثوب «عقلة الأصبع» سترة زرقاء وسروال أحمر ، ومن نصيب الآنسة ميتيل ثوب ست الحسن والجمال وحذاء ساندريلا" . ولكن المشكلة كانت فى اختيار ثوب يليق ببسمة النور .

الهرة : ولماذا ؟

الرغيف : لأن الجنية أبت من فرط جمال بسمة النور أن تسترها بغطاء ، فاحتججت أنا باسم كرامتنا نحن سرائر العناصر الأولى وباسم شرفنا الرفيع وأعلنت فى النهاية اننى أرفض فى هذه الأحوال أن أخرج فى صحبة بسمة النور وهى عارية .

النار : كان ينبغى أن نشترى لبسمة النور ظليلة (أباجور)

الهرة : وبماذا أجابت الجنية ؟

الرغيف : كانت اجابتها ضربات من عصاها على رأسي وبطني •

الهرة : ثم ماذا حدث ؟

الرغيف : آمنت بحُكْمها صاغرا على الفور ولكن بسمة النور قررت في آخر لحظة أن تختار ثوبا لونه من ضياء القمر •

الهرة : كفى ثرثرة ، الوقت يتعجلنا ، ان المسألة تتعلق بمستقبلنا • قد سمعتم ما قالته الجنية من أن نهاية الرحلة هي في الوقت ذاته نهاية عمرنا ، فينبغي اذن أن نطيل ما أمكن من أمد هذه الرحلة ، بكل حيلة نملكها ، ثم هناك مسألة أخرى ، ينبغي أن نعنى بمصير أجناسنا ومستقبل ذريتنا •

الرغيف : كلام جميل ، الهرة على حق •

الهرة : انصتوا لي : نحن جميع الحاضرين هنا من حيوان وجماد وعنصر لنا سريرة لم يتبيّنها الانسان بعد ، ولذلك بقينا نتمتع بفضلة من الاستقلال ولكن لو عثر الانسان على الطائر الأزرق فانه سيعرف كل شيء ويرى كل شيء ، ونصبح جميعا في قبضته ، أسرى رحمته هذا ما قالته لي صديقة قديمة هي فحمة الليل ، انها أيضا حارسة أسرار الحياة • فمن مصلحتنا جميعا أن نمنع ــ مهما كان الثمن ــ عثور

الانسان على الطائر الأزرق حتى لو اقتضانا الأمر أن نعرّض حياة الصبيين للأخطار .

الكلب : (فى حنق) ماذا تقول هذه البنت ؟ أعيدى قولك لو تكرمتِ لأتبين جليته .

الرغيف : الاجتماع .

سكوت ! لم أعطك حق الكلام ، وأنا رئيس هذا

النـار : ومَنْ الذى أسند اليك الرياسة ؟

المـاء : « للنار » سكوت . ما دخلكِ فى هذا ؟

النـار : أنا أتدخّل حين أشاء ، وليس لمثلى أن يعترض عليه مثلك .

قمع السكر : (محاولا المصالحة) من فضلكم ، من فضلكم ، ينبغى أن نكفّ عن العراك ، فالساعة عصيبة ، أمامنا قبل كل شىء أن نتفق على خطة نتبعها .

الرغيف : ان رأيى مطابق كل المطابقة لرأى قمع السكر .

الكلب : هذا سخف ، لا تنسوا وجود الانسان ، هذه هى المسألة كلها ، لا مفر لنا من طاعته والانصياع لرغباته ، هذه هى الحقيقة التى ليس غيرها حقيقة أخرى ، اننى لا أعترف الا بالانسان ، فليحى الانسان ! حياتنا ومماتنا ملك يديه ، وفى خدمته، فالانسان هو مولانا جميعا .

الرغيف : ان رأيي مطابق كل المطابقة لرأى الكلب .

الهرة : ولكن جُدْ علينا بذكر مبرّرات قولك هذا .

الكلب : ليس هناك مبرّرات ، انى أحب الانسان ، وفي حبّي كفاية ، فاذا تآمرتم عليه فانى سأخنقكم أولا ثم اذهب اليه وأفضحكم عنده .

قمع السكر : (يتدخل بلهجة حلوة) من فضلكم ، لا داعي لهذا النقاش المرّ ، هناك وجهة نظر تسوّغ القول بأن كلا منكما على حق ، ولكل رأي ما له وما عليه .

الرغيف : ان رأيي مطابق كل المطابقة لرأى قمع السكر .

الهرة : ألسنا نحن الموجودين هنا جميعا ، الماء والنار ، حتى أنت أيها الرغيف وأنت أيها الكلب ، ألسنا ضحايا استبداد غاشم ؟ اذكروا العهد الذى كنا قبل مجيء الطغاة ننعم فيه بالحرية ونروح ونغدو كما يحلو لنا على سطح الأرض ؟ لم يكن للدنيا من سيّد الا النار والماء ، فانظروا كيف كان مصيرهما . أما نحن فلم نصبح على يد الانسان الا سلالة هزيلة ممسوخة لأجدادنا العظام : وحوش الغابات . اسكتوا . انتبهوا . تصنّعوا البراءة كأننا لم نجتمع لأمر ، فانى أرى الجنية

وبسمة النور قادمين نحونا ، لقد انحازت بسمة النور الى صفّ الانسان ، ان بسمة النور ألدّ أعدائنا ، ها هما قد أقبلا .

(تدخل الجنية من اليمين ومعها بسمة النور وفى أثرهما تيلتيل وميتيل) .

الجنية : وَىْ وَىْ ، ماذا أرى ؟ فيم اجتماعكم فى هذا الركن المنعزل . حالكم ينبىء بأنكم تتآمرون ، قد آن أوان البدء فى الرحلة ، وقد قررت أن تكون بسمة النور قائدكم تطيعونها جميعا طاعتكم لى وسأستودعها عصاى السحرية ، وسيزور الصبيان هذا المساء أجدادهما الموتى ولا داعى لمرافقتكم لهما ، حياءً من الفضول .. سيقضيان هذه الليلة بين أحضان الراحلين من أسرتهما فاغتنموا وقت غيابهما وأعدّوا العدة لرحلة الغد انها ستكون مرحلة طويلة ، هيّا ، انهضوا ، وابدأوا العمل ، كل واحد منكم فى وظيفته .

الهرة : (بنفاق) هذا هو عين ما كنت أقوله لهم يا سيّدتى، كنت أحثهم على أداء واجبهم بحرص وحماس ولكن الكلب كان مع الأسف لا ينفك يقاطعنى .

الكلب : ماذا تقول ؟ مهلا ، مهلا ، (ويوشك أن يهجم على

الهرّة ولكن تيلتيل يحدس نيّتـه فيصده باشارة مهدّدة .

تيلتيل : ارقد يا تيلو ، اذا عدت لهذه الفعلة مرة أخرى فانى ..

الكلب : يا مولاى الصغير ، انت لا تدرى ، انها هى التى..

هــو : (وهو يزجره) اسكت .

الجنية : كفى كفى ، هيّا نفرغ من ترتيباتنا ، على الرغيف أن يترك القفص هذه الليلة لتيلتيل فمن الجائز أن يكون الطائر الأزرق مختبئا فى طيّات المـاضى عند الراحلين من أسرته ، انها فرصة على كل حال لا يحسن اغفالها ، وانت يا رغيف ، هات القفص .

الرغيف : (بلهجة مراسـيمية) دقيقة واحـدة من فضلك ، يا سيّدتى ، (يتحوّل الى لهجـة خطابية) اننى أتخذ منكم جميعا شهداء على أن القفص الفضىّ الذى كان فى عهدتى .

الجنية : (مقاطعـة) كفى ، كفى شقشقـة ، سنخرج من هناك ، أما الصبيان فسيخرجان من هنا .

هــو : (وهو شديد التوجس) سنخرج وحدنا ؟

هــى : انى جائعة .

هـو : وأنا أيضا .

الجنية : (للرغيف) افتح طيلسانك التركى واقتطع لهما شريحة من أطيب لحم فى بطنك .

(يفتح الرغيف طيلسانه ويستل خنجره ويقطع به من بطنه شريحتين كبيرتين يمنحهما للصبيين) .

قمع السكر : (يقترب من الصبيين) اسمحا لى أن أقدم لكما أيضا شيئا من حلوى نبوت الخفير (يكسر من يده اليسرى أصابعها الخمس واحدا بعد آخر ويمنحها للصبيين) .

هـو : ماذا يفعل ؟ انه يكسّر أصابعه كلها .

قمع السكر : (وهو يحثهما بكرم) هيّا ، ذوقاها ، انها حلوى بديعة ، نبوت خفير بحق وحقيق ...

الجنية : حذار يا ولدىّ من الافراط فى أكل السكر ثم لا تنسيا أنكما ستتناولان العشاء بعد قليل عند أجدادكما .

هـو : أهم هنا ؟

الجنية : ستريانهما وشيكا .

هـو : وكيف نراهم وهم موتى ؟

الجنية : كيف نقول عنهم موتى وهم يعيشون فى ذاكرتكما، ان الناس لا يدركون هذا السرّ لأنهم لم يبلغوا

من العلم الا قليلا ، أما أنت فسترى بفضل الماسة ان الموتى الباقين فى الذاكرة يعيشون فى هناء كما لو كانوا غير موتى .

هـو : وهل ستأتى بسمة النور معنا ؟

بسمة النور : من الأليق أن لا نفسد على الأسرة خلوتها اذا اجتمعت ، وسأبقى قريبا فلا أظهر لهم حتى لا أتهم بالفضول وقلة الحياء ، ثم لا تنس أننى لم أتلق منهم دعوة .

هـو : من أى طريق ينبغى أن نذهب ؟

الجنية : من هناك ، أنتما الآن على عتبة أرض الذكريات ، وحالما تدير الماسة سترى شجرة سامقة عليها لافتة فتفهم منها أنك قد وصلت ولكن اياكما أن تنسيا العودة فى الساعة التاسعة الا ربعا ، هذا شىء فى غاية الأهمية ، فاحرصا قبل كل شىء على العودة فى الموعد المحدّد وسيضيع كل شىء هباءً اذا تأخرتما ، فالى اللقاء اذن ، (تنادى الهرة والكلب وبسمة النور الخ الخ) انتم من هنا ، والصبيان من هناك .

(تخرج من اليمين مع بسمة النور وزمرة الحيوان الخ الخ . ويخرج الصبيان من اليسار) .

« **ستار** »

المنظر الثالث

أرض الذكريات

(ضباب كثيف ، على اليمين فى مقدمة المسرح جذع شجرة بلوط ضخمة ، معلق عليها لافتة ، الضوء كاللبن المسكوب، غامض غير شفاف • تيلتيل وميتيل عند جذع الشجرة) •

هو : هذه هى الشجرة •

هى : وعليها اللافتة •

هو : عينى لا تستطيع قراءتها ، انتظرى ، سأصعد فوق هذه الجذور ، نعم ، هى المقصودة حقًا ، فمكتوب عليها « أرض الذكريات » •

هى : وهل تبدأ هذه الأرض من هنا •

هو : نعم ، هناك رسم سهم يشير اليها •

هى : ولكن أين جدى وجدّتى ؟

هو : من خلف الضباب ، فلنصبر حتى نرى •

هى : انى لا أرى شيئا ، بل لم أعد أرى يدىّ وقدمىّ (بلهجة متباكية شاكية) أحسّ بالبرد يقرصنى،

ولا أريد متابعة الرحلة ، أريد أن أعود للبيت .

هـو : شدّى حيلك ، أهكذا دأبك ، البكاء ، كما تفعل صاحبتنا المـاء ، ألا تخجلين ؟ فتاة شابة مثلك ؟ انظرى ، ها هو ذا الضباب ينقشع ، وسنرى ماذا كان يخفيه عنّا .

(يبدأ الضباب فعلا فى التموج ، فيرق ويشف ، ويتبدد ويتبخر ، ويحـل محله ضوء يزداد سطوعه شيئا فشيئا ، يتكشف تحت سقيفة من الأغصان بيت ريفى صغير ينطق بالبشر ، تغطيه نبـاتات متسلقة ، النوافذ مفتوحة ، وكذلك البـاب ، ونرى تحت عريشة خلايا نحل ، واصص زهر على حافة النوافذ ، وقفصا به شحرور أسود قد أغفى ، وبجانب الباب دكة يجلس عليها شيخ وزوجه العجوز ، كلاهما مستغرق فى نوم عميق هما الجد والجدة) .

تيلتيل : (يعرفهما فجأة) هذا جدّى ، وهذه جدتى .

ميتيـل : (تصفق طربا) نعم ، هو جدّى ، وهى جدّتى .

هـو : (وبعض الشـكّ لا يزال يساوره) احذرى ، فلسـنا ندرى هـل هما قادران على الحـركة ، فلنختبىء وراء الشجرة .

(تفتح الجدة تيل عينيها وترفع رأسها وتتمطى وتتنهد ، وترمق الجد تيل وهـو يتفلت من قبضة النوم قليلا قليلا) ..

الجـدة : قلبي يحدثني أن حفيدينا سيزورانا اليوم من عالم الأحياء ، لا شك .

الجـد : لا شك أننا خطرنا على بالهما بدليل خفقان قلبي وخدر ساقيّ .

الجـدة : أظن أن وصولهما قد اقترب لأن دموع الفرح تتراقص أمام عيني .

الجـد : كلا كلا ، هما لا يزالان على بُعد والاّ لدبّت الهمة في بدني .

الجـدة : أؤكد لك أنهما أصبحا بالقرب منا ، فها هي قواي تعود اليّ كلها .

تيلتيل :
ميتيل : } (وهما يندفعان نحوهما من وراء الشجرة) ها نحن قد جئنا ، ها نحن قد جئنا ، يا جدّي ، يا جدتي . نحن حفيداكما ، نحن حفيداكما .

الجـد : ها هما قد وصلا . ألم أقل لك ؟ كنت واثقا أنهما سيحضران اليوم .

الجـدة : تيلتيل ، ميتيل ، حفيداي . (تحاول النهوض لتسبقهم في اللقاء) لا أستطيع الجري فلم يفارقني الرومانزم .

الجـد : (يحاول الجري وهو يعرج) وأنا أيضا عاجز

عن الجرى على ساقى الخشبية ، أين هى من ساقى التى انكسرت يوم سقطت من على شجرة البلوط .

(يشترك الحفيدان والجدان فى عناق حار) .

الجدة : شدّ ما قوى عودك ونما يا تيلتيل .

الجد : (وهو يربّت على شعر ميتيل) وميتيل ، انظرى اليها ! بربك ما أجمل شعرها ، ما أجمل عيناها ، ثم شذى عرفها ، ما أطيبه !

الجدة : هيا نتعانق مرة أخرى ، تعالا اجلسا فى حجرى . وأنا ؟ ألم يبق لى نصيب ؟

الجد : كلاّ كلا ، أنا أوّلا ، كيف حال بابا وماما .

هو : على أحسن حال يا جدتى ، كانا نائمين حين خرجنا .

الجدة : (وهى ترمقهما ولا تكفّ تربّت عليهما) تالله ماأبهى جمالكما ، وظرفكما ونظافتكما ، جواربكما غير ممزقة ، قد كنت أنا من قبل أقوم برفوها ، لماذا لاتواليان زيارتنا ؟ فان هذا يسّرنا كثيرا امتد نسيانكما لنا شهورا طويلة ، ولم نعد نرى أحدا منكما .

هو : لم نكن نقدر يا جدّتى ، واذا كنا قد جئنا اليوم فذلك بفضل الجنية .

الجـدة : نحن هنا دائما نترقب من الأحيـــاء زيارة ولو قصيرة ، انهم لا يحضرون الا نادرا ، فآخر مرة جئتما فيها •• دعوني أتذكر ، متى كانت ؟ نعـم كانت في عيد جميع القديسين حين كانت أجراس الكنائس تدق أنغامها •

هـو : عيد جميع القديسين ؟ اننا لم نخرج ذلك اليـوم بسبب الزكام •

الجـدة : نعم ولكن زارنا فكركما •

هـو : نعم ، كنا نفكر فيكما •

الجـدة : في كل مرة تفكر ان فينا نستيقظ ونراكمـا من جديد •

هـو : كيف ؟ أيكفي أن ••

الجـدة : بلا ريب ، أنت تعلم هذا ••

هـو : كلا ، لا أعلم •

الجـدة : (للجد) ما أعجب حال أهل الدنيا ! انهم لايعرفون هذا ! هل عجزوا عن الادراك ••

الجـد : كنا مثلهم في عهدنا ، ما أغبى حديث الأحيـــاء عن الراحلين •

هـو : أكنتما نائمين طول الوقت ؟

الجـد : نعم ، نحن نبقى نائمين ننتظر أن يمر ذكرنا ببال أحد الأحياء فنستيقظ ، ما أحلى النوم حين تولى الحياة ولكن ما أحلى اليقظة أيضا بين الحين والحين .

هـو : فأنت لست بميت حقا ، وكذلك جدتي .

الجـد : (وهو يفز) ماذا تقول ؟ ماذا يقول ؟ ها هو ذا ينطق بكلمات لم نعد نفهمها ، أهي كلمة مستحدثة أم اختراع جديد .

هـو : تعني كلمة « ميّت ؟ »

الجـد : نعم ، هذه الكلمة . ما معناها ؟

هـو : معناها ينطبق على كل من انتهت حياته .

الجـد : ما أغباهم أهل الأرض .

هـو : أأنتم في راحة هنا ؟

الجـد : لا بأس ، لا بأس ، وحبذا أيضا لو أتيح لنا التدخين .

هـو : أغير مسموح لك به ؟

الجـد : نعم ، التدخين مباح ولكنى كسرت غليوني (١) .

---

(١) نقلت هذه الفقرة من الترجمة الانجليزية لأنها في الأصل الفرنسي واردة على صورة لا تتسق مع بقية الحوار .

الجدة : سنكون بخير اذا أكثرتما من زيارتنـــا ، أتذكر يا تيلتيل آخر مرة أعددت لك فيها فطيرة تفـاح جميلة وكيف أفرطت فى الأكل منهـــــا حتى مرضت ٠

هـو : لم آكل فطيرة تفاح منذ العام المـاضى وليس لدينا تفاح هذا العام ٠

الجد : كفى هراءً ، التفاح موفور هنا ٠

هـو : الأمر يختلف ٠

الجد : كيف يختلف ؟ لا يختلف ما دمنا نتعانق ٠

هـو : (وهو ينقل نظره بين الجدّ والجدّة) شكلك يا جدّى لم يتغير ، وكذلك جدتى ، بل قد زدتما وسامة وجمالا ٠

الجد : لا بأس بحالنا ، لم نعد نتقـدم فى العمر فنكبر ، أما أنتما فما كان أسرع نموّكما ، انه نموّ مليح ٠ التفت الى الباب ، عليه علامة قياس طولك آخـر مرة ، يوم عيد جميع القديسين ، فلننظر الفرق ، شــــدّ قامتك (تيلتيـل يستند الى البـاب ويشد قامته) الفرق أربعة أصابع ، يالها من طفرة هائلة ، (ميتيــل تشدّ قامتهـا هى الأخـرى) وميتيل ؟ أربعـة أصـــــابع ونصف أصبع ، ما أسرع نموّ

النباتات الشيطانية ، عجبى لطولكمـــا ، عجبى لطولكما .

هــو : (يتأمل فيما حوله بمتعة وانبهار) كل شيء هنـا باق كما كان ، كل شيء في موضعه ، وان ازداد جمالا ، هذه هى الساعة وعقربها الكبير الذى كنت كسرت رأسه .

الجـد : وهذا هو قدر الحساء الذى كنت كسرت طرفه .

هــو : وهذا هو الخرم الذى أحدثته بالبـــاب يوم وقع المثقاب فى يدى .

الجـد : نعم ، ما كان أكثر اتلافك ، وهذه هى شـــجرة البرقوق التى كنت تحب تسلقها حين أغيب .. انها لا تزال تجود بثمر أحمر شهى .

هــو : ولكنه ازداد جمالا .

هــى : وهذا هو الشحرور الهرم .. ألا يزال يُغنى..
(يستيقظ الشحرور وينطلق فى الغناء)

الجـدة : أرأيت ؟ انه يغنى على الفور حين يمر ذكره ببال.

هــو : (يلحظ بدهشة أن الشحرور لونه أزرق) ان لونه أزرق ، اذن هو الطـــائر الأزرق الذى ينبغى أن آتى الجنية به ، كيف سكتما عن اخبارى.

انه عنـــدكما . نعم . نعم . انه أزرق اللون ، يشبه الزرقاء من الحبّات الزجاجيـة التى نلعب بها ، (يستعطف الجدّ والجـــدّة) يا جدّى ، يا جدتى ، هل لكما أن تسمحا باعطائه لى .

الجـد : نعم ، ربما ، ربما ، ما رأيك يا ستّى ؟

الجـدة : نعطيه ولا ريب ، فما نفعه هنـــا . لا صنعة له الا النوم ، فلا نسمع له شدوا .

هـو : سأضعه فى قفصى ، وَىّ ، أين هو قفصى ؟ نعم ، لقد نسيته خلف الشجرة . (يجرى اليها ويعود بالقفص ويحبس فيه الشحرور) أحقا سمحتمـا به هديةً لا تسترد ؟ ستسر به الجنية . أما عن بسمة النور فلا تسألانى عن فرحتها حين تراه .

الجـد : ليكن فى علمك أننى لا أضمنـــه ، وأخشى أن لا يألف من أهل الأرض اضطراب حيـاتهم فيركب أوّل ريح يهب الينا ويعود ، على كل حال سنرى ماذا يكون من أمره ، أما الآن فدعه الى حين ، وتعال نلقى نظرة على خلايا النحل (١)

---

(١) تلقى نظرة على البقرة ، هكذا فى الأصـل والترجمـة الانجليزية ، وأظنها غلطة مطبعية للتشـابه فى الفرنسـية بين كلمة « بقرة ، وكلمة خلايا » اذ لم يرد للبقرة ذكر فيمـا بعـد .

هو : (وهو يلحظ خلايا النحل) وكيف حال النحل .

الجد : لا بأس بحالها ، لعلّ أهل الأرض يقولون عنها ماتت أيضا ، ولكنها لا تزال هنا تعمل بنشاط .

هو : (يقترب من الخلايا) نعم ، انى أشمّ رائحة العسل ، لاريب أن الخلايا عامرة ، فكل الأزهار هنا جميلة ، وشقيقاتى اللاتى متن ، أهن هنا أيضا .

هى : وأشقائى الثلاثة الذين واريناهم التراب . أين هم ؟

(ما تكاد تنطق بهذه العبارة حتى ينفلت من باب الكوخ واحداً اثر آخر سبعة من الأولاد يختلفون طولا ، يحمل كل منهم مزمار (بان) رمز الطبيعة بين أرباب الأغريق وهو لا يرسم الا بمزماره) .

الجدة : ها هم أمامكما ، حالما يمرّ ذكرهم ببالكما أو ينطق باسمهم لسانكما فانهم يظهرون ، ما أعزّ أولادى جميعا .

(تيلتيل وميتيل يجريان للقاء أخوتهم ويشيع التزاحم والتعانق والرقص والدوران وهتافات الفرح) .

هو : تعال يا بيرو ، (يشدّ كل منهما شعر أخيه) سنتعارك كما كنا نفعل فى الأيّام الخوالى ، وأنت

يا روبير ، أنعم صباحا يا جان ، أين نحلتك التي تلعب بهـــــا ؟ مادلين ، بيريت ، بولين ، ها هي ريكيت •

هــي : ريكيت ، ريكيت ، انها لا تزال تحبو على اليدين والقدمين •

الجــدة : نعم ، لم تكبر •

هــو : (يلحظ الكلب الصغير وهو ينبح حولهم) ها هو كيكي ، كنت قطعت ذيله بمقص بولين • انه لم يتغيّر أيضاً •

الجــدة : (في لهجة الحكيم) لاشيء يتغيّر هنا •

هــو : ولا يزال على أنف بولين دمامها •

الجــد : انه ضيف ثقيل ، لا يرحل ولا نستطيع طرده ••

هــو : ما أبدع صحتهم وامتلاء أبدانهم وصفـاء بشرتهم وتورّد خدودهم لا ريب أنهم ينعمون بطعـــــام وفير •

الجــدة : صحتهم تحسنت مذ فارقتهم الحياة فقد نجوا من معاناة الخوف والمرض والقلق •

(تدق الساعة في الكوخ ثماني دقات) •

الجــدة : (في دهشة) ما هذا ؟

الجـد : لَعَمْرى لست أدرى ، لابد أنها الساعة •

الجـدة : هذا مستحيل ، انها لم تدق قط من قبل •

الجـد : نحن لم نفكّر فى الساعة ، فهل فكّر فيها أحـد منكما •

هـو : نعم ، أنا ، كم الساعة الآن •

الجـد : لست أدرى وربى ، لم نعـد نبـالى بالوقت ، وقياسه ، لقد دقت ثمانى مرات ، لابد أنها الساعة الثامنة فى حساب أهل الأرض •

هـو : ان بسمة النور تنتظرنى فى الساعة التاسعـة الا ربعا ، هذا هو أمر الجنية ، انه موعد هام فـلا بُدّ لى من أن أنصرف •

الجـدة : أيرضيك أن تتركنا وقد حان موعد العشـاء ، فلنعدّ المـائدة فورا أمام الباب ، من حسن الحظ أننى كنت أعددت من الكرنب حساءً بديعا وكذلك فطيرة برقوق •

هـو : ولم لا ما دمتُ قد ظفرتُ بالطائر الأزرق ، ثم ان حساء الكرنب لم أذقه منذ عهد طويل فهذا هو حال المسافر مثلى ، انه طعام لا يقدم فى الفنادق •

الجـدة : ها هو الحساء ، قد تمّ أعداده ، هيا الى المـائدة

يا أولادى ، ان كنتم تستعجلون الذهـــاب فلا تضيّعوا الوقت •

(اشعلوا المصباح وقد حل المساء وجلس الأحفاد مع الجدين حول مائدة العشاء وهم يتزاحمون ويلكز بعضهم بعضـا ويتعـــالى ضحكهم وصيحات فرحهم) •

هــو : (يأكل بشراهة) ما الذّه من حســـاء ، ياله من حساء لذيذ ، مزيدا منه ، مزيدا منه •

الجـد : يا للعيب ! اهدأ قليــلا ، لازلت كعهدى بك سيء الأدب ، انك ستكسر طبقك •

هــو : (ينهض نصف نهوض من على مقعده) أريد المزيد

(يمسك بالقدر ويسحبها نحوه فيقلبها ويندلق الحساء فوق المـائدة ويتساقط على ركب الأطفال ويحرقها فيصرخون من الألم) •

الجــدة : أرأيت ؟ ألم أحذرك ؟

الجـد : (وهو يهوى على خد تيلتيل بصفعة رنانة) هذا جزاؤك ••

هــو : (يتخاذل لحظة ثم يضع يده على خدّه متلذذا) هكذا كانت صفعاتك حين كنت تضربنا وأنت حى بيننا ، ما أبركهـا ، وما ألذّها ، ينبغى أن أقبـل اليد التى صفعتنى ••

الجـد : طيّب طيب ، عندى منها المزيد اذا أحببت •

(تدق الساعة النصف بعد الثامنة) •

هـو : (وهو يفزّ) الثامنة والنصف ، (يقذف بالملعقة) هيّا ، لم يبق أمامنا الا الوقت الذى يلزمنا •

الجـدة : أيجمل بك هـذا ، اصـبر بضع دقائق فبيتكم لم يندلع فيه حريق ، نحن لا نراكما الا نادرا •

هـو : كلا ، لا أستطيع فان بسمة النور طيبة القلب ، وقد وعدتها ، هيا يا ميتيل ، هيا •

الجـد : عجبى للأحياء ، لا يخـرج من يدهم الا ازعاج الغير ، متعلّلين بأشغالهم واضطراب أيامهم •

(يأخذ تيلتيل القفص ويدور على الجميع يعانقهم بعجلة) •

هـو : الوداع يا جـدّى ، الوداع يا جـدتى ، الوداع يا اخـوتى وأخـواتى ، بيرو ، روبير ، بولين ، مادلين ، ريكيت ، وانت أيضا يا كيكى ، ان مقامنا بينكم قد آذن بالانتهاء ، لا تبكِ يا جدتى ، سنأتى لزيارتكم مرارا •

الجـدة : تعالَ كل يوم ومعك أختك •

هـو : نعم ، نعم ، سنعود ما أمكننا •

الجـدة : هذا هو كل ما بقى لنا من أسباب الفرح ، ويوم

يمر ذكرنا ببالكما هو عندنا يوم عيد .

الجـد : هذه هى تسليتنا الوحيدة .

هـو : البدار ! البدار ! أين القفص ؟ أين الطائر ؟

الجـد : (يعطيه القفص) ها هو ذا ، ليكن مفهوما انني لست ضامنه ولا ضامن صدق لونه .

هـو : الوداع ، الوداع .

الاخوة والأخوات : الوداع يا تيلتيل ، الوداع يا ميتيل ، لا تنسيا أن تجيئا لنا بحلوى ، عودا الينا ، عودا الينا .

(يلوح الجميع لهما بمناديلهم على حين يبتعد الصبيان ببطء ويحدث أثناء الفقرات الأخيرة من الحوار السابق أن الضباب الذى شاهدناه فى مطلع المنظر يعود فينعقد وتخفت الأصوات وتختفى المرئيات كلها الا تيلتيل وميتيل وهما واقفان والستار يهم بالنزول عند شجرة البلوط الضخمة) .

هـو : من هنا الطريق يا ميتيل .

هـى : أين بسمة النور .

هـو : لست أدرى ، (ينظر الى الطائر فى القفص) عجبى ! لم يبق له لونه الأزرق ، أصبح أسود اللون .

هـى : خذ بيدى فأنا فى شدة الخوف والبرد .

« ســتار »

الفصل الثالث

المنظر الرابع : قصر فحمة الليل

بهو فسيح رائع ، له فخامه تنطق بالجد
والصرامه ووقـــار الأضرحـــة ، واشترخت
مختلف المعـــادن فى اقامته ، يخيل لرائيـــه
انه بازاء معبد أغريقى أو فرعونى ، اعمدته
وعقودها وكذلك زينته وكساء أرضـــه من
المرمر الأســـود ، والذهب ، والأبنوس ،
البهو على هيئة مستطيل ضلعاه الأفقيـــان
متوازيان والأمامى أطول من الخلفى،وضلعاه
الجانبيان غـــير متوازيين ، درجات السلم
الذى يتســلقه تكاد تشـــغل عرضـــــه
كله ، وتقسمه الى ثلاثة مسطحات تؤدى الى
غيابته ، الواحد منها يرتفع عن سابقــــه
قليلا ، بين الأعمدة على اليمــــين واليسار
أبواب من البرونز الداكن ، وفى وســـط
البهو من ناحيـــة الخلف باب ضـــخم من
النحاس ، لا يعم البهو الا ضوء غامض كأنه
مستمد فى أغلبه من بريق المرمر والأبنوس،
ونرى عند رفع الستار «فحمة الليل» على
هيئة امرأة رائعة الجمال ترتدى ثوبا أسود
طويلا ، جالسة على درج المسطح الثانى ،
يحف بها طفلان ، أحدهما يكاد يكون عاريا ،
شأن كيوبيد رسول الحب عنـد الاغريق ،
طويلا ، جالسة على درج المسطح الثانى ،
فواقف جامدا ، تغطيه غلالة من رأسه الى
أخمصيه ، تدخل الهرة من على اليمـين فى
مقدمة المسرح) .

نسمة الليل : من القادم ؟

الهرة : (وهى تتهـاوى من الاعياء على درج السُلّم المرمرى) أنا يا أمّى ، قد هدنى التعب .

فحمة الليل : ماذا بك يا بنيتى ، لقـد بدا عليك الشحـوب والهزال ، وتلطخ بالطين جسدك حتى شواربك، فهل عدت للعراك على الأسطح بين المزاريب تحت الثلج والمطـر ؟

الهرة : ليس الشأن شـأن أسـطح ومزاريب ، بل شأنٌ جلل يهدّد السرّ الذى بيننـا . لقـد نجحت فى الهرب لحظة لأطير اليك بالخبر ، ولكن أخشى أن يكون الأمر قد خرج من يدنا .

فحمة الليل : ماذا تقولين ؟ ما الذى حدث ؟

الهرة : سلف لى أن حدثتك عن تيلتيل ابن الحطّاب وعن الماسة السحرية ، انه سيحضر اليك ليطلب منك الطائر الأزرق .

فحمة الليل : دعيه يجرى وراءه .

الهرة : ولكنه سيظفر به عما قريب ان لم نصنع معجزة ، سأقص عليك ما جرى ، ان بسمة النور التى تقود خطى تيلتيل وتخوننا جميعا قد انضمت قلبا وقالبا

الى صف الانسان ، وقد علمت بسمة النـور أن
الطائر الأزرق الصادق لا الزائف والوحيد الذى
يقوى على العيش فى ضـوء النهـار مختبىء هنـا
بين أشباهه في اللون من طيـور الأحـلام التى
تستمدّ غـذاءَها من ضـوء القمر وتموت حالما
ترى الشمس ، وبسمة النور على علم بأن اجتياز
عتبة هذا القصر محرّم عليهـا ولكنهـا سترسـل
الصبيين بدلا منهـا ، واذ كنت أنت لا تستطيعين
صدّ الانسان عن فتح أبواب أسرارك فلا أدرى
ما الحال . لأنه اذا حلّت النـكبة وفاز الصبيان
بالطائر الأزرق فلا سبيل لنا الا أن نختفى .
يا الهى ، يا الهى ، ماذا جرى للدّنيا ؟ فى أى زمن
أصبحنا نعيش ؟ لم أعد أنعم بالراحة لحظة واحدة
وعجزت فى السنوات الأخيرة عن فهم الانسان .
ما غرضه ؟ أحتم له أن يعرف كل شىء ؟ لقـد
نجح الى اليوم فى أن يهتك من أسرارى ثُلثَـها ،
فالمخاوف التى أطلقُها أصبحت بدورها خائفـة ،
ولا تجرؤ على الخروج للناس ، والأشباح التى
اسـتخدمها قـد هـربت ، وأغلب الأمراض التى
أنشرها قد أقعدتها العِـلَـلْ .

الهرة : أعلم هذا يا أمى فحمة الليل . وأعلم أن الزمن

عصيب ، أننا نكاد ننفرد وحدنا فى خوض غمارِ المعركة ضد الانسان ، ولكن ها أنذا أسمع خطوَ الصبيين يقترب ، فلا أجد أمامنا الا حلاًّ واحدا ، ينبغى ـ لأنهما فى مرحلة الطفولة ـ أن نقذف فى قلبيهما من الرعب ما يسلبهما الشجاعة على المضىّ فى سبيلهما أو على فتح الباب الكبير فى نهاية البهو للوصول الى طيور القمر التى تختفى وراءه • أما أسرار بقية الكهوف فهى كفيلة بأن تزيغ بصرهما أو تزلزل من الرهبة قلبيهما •

فحمة الليل : (وهى تسترق السمع الى ضجة فى الخارج) ماذا أسمع ؟ ان القادمين أكثر من اثنين •

الهرة : لا تخشى شيئا ، انهم أصدقاؤنا ، الرغيف وقمع السكر ، أما الماء فقد أقعدها المرض والنار عاجزة عن المجىء لأنها تمتّ بنسب الى بسمة النور ، أما الكلب فهو وحده الذى ليس من حلفائنا ، وهيهات لنا أن نهرب من ملاحقته •

(تيلتيل وميتيل والرغيف وقمع السكر والكلب يدخلون بتهيب من اليمين عند مقدمة المسرح) •

الهرة : (تسارع الى التقدم للقاء تيلتيل) من هنا ، من هنا ، يا سيّدى الصغير ، لقد أنبأت فحمة الليل بمقدمكم

وقد سرّها كل السرور أن تستقبلكم ، واعذروها
اذا هى لم تسارع الى باب القصر للحفاوة بكم
فان بها وعكة خفيفة .

هـو : طاب صباحك سيدتى فحمة الليل .

فحمة الليل : (بصوت محنق) طاب صباحي ؟ هذا كلام
لا أستسيغه ، كان ينبغى لى أن تقول « طابت
ليلتك » أو على الأقل « طاب مساؤك » .

هـو : (وهو خجل من ذنبه) عفوا سيدتى ، كنت
أجهل هذا (يشير بأصبعه الى الطفلين الملازمين
لفحمة الليل) أهما ابناك الصغيران ؟ ما ألطفهما

فحمة الليل : نعم ، الأول هو السبات .

هـو : ولماذا هو جد سمين ؟

فحمة الليل : لأنه يشبع من النوم .

هـو : وهذا الآخر المتستر . لماذا يحجب وجهه .
ما علته ؟ ما اسمه ؟

فحمة الليل : انها بنت ، هى أخت السبات ومن الخير أن
لا أذكر لك اسمها .

هـو : ولماذا ؟

فحمة الليل : لأن اسمها تنفر منه الآذان ، ولكن دعنا نتكلم في مسألة أخرى ، لقد أنبأتني الهرّة أنك جئت تبحث عن الطائر الأزرق .

هـو : نعم سيّدتي ، فهل لك ان أذنت أن تخبريني أين هو ؟

فحمة الليل : لا أعرف عنه شيئا ، يا صديقي العزيز ، غاية ما أستطيع أن أؤكد لك أنه ليس موجودا هنا وأنني لم أره قط .

هـو : لا . لا . لقد أخبرتني بسمة النور أنه هنا . وهي على ما تقول أمينة ، فهل لك أن تعطيني مفاتيحك .

فحمة الليل : ولكن يا صديقي الصغير أنت تدرك ولا ريب أنني لا أستطيع أن أسلم مفاتيحي لأول قادم . فاني قيّمة على كل أسرار الطبيعة وأنا مسئولة عنها . ومحرّم عليّ كل التحريم أن أعهد بمفاتيحي الى أحد فما بالك اذا كان طفلا .

هـو : ليس لك الحق في حجزها عن الانسان اذا طلبها، اني على علم بهذا .

فحمة الليل : من الذي قال لك ؟

هـو : بسمة النور .

فحمة الليل : بسمة النور مرة أخرى ، بسمة النور دائما أبدا، ما دخلها فى هذا ؟

الكلب : أتجبّ يا مولاى الصغير أن أنتزع منها المفاتيح عنوة ؟

هـو : « الزم الصمت والهدوء وحسن الأدب » (الى فحمة الليل) لا داعى للجدل سيّدتى ، اعطنى المفاتيح من فضلك .

فحمة الليل : هل لديك العلامة على الأقل ، أين هى ؟

هـو : (يلمس قمة قلنسوته) أترين الماسة ؟

فحمة الليل : (وقد أسقط فى يدها) أمرك ، ها هو ذا مفتاح كل أبواب البهو ، ذنبك على جنبك اذا أصابك شرّ . فانى بريئة مما يحدث لك .

الرغيف : (فى قلق شديد) أثمة أخطار ؟

فحمة الليل : أخطار ؟ غاية القول أننى أنا نفسى لا أدرى كيف أسلمُ حين تنشق بعض هذه الأبواب البرونزية عن الهوّة وراءها ، فهناك حول البهو فى كل كهف من كهوف البازالت مجمعُ كل علّة وكل بلاء وكل مرض وكل أنواع الرعب وكل المحن والأرزاء ، وكل تدبير خفىّ تعانى منه الحياة منذ الخليقة ، وليس الا ببذل غاية الجهد ان

استطعت حبسها فى مخابئها بعون من « القـدر »
وأؤكد لك أننى أجد أكبر المشقة فى أن أفرض
شيئا من النظام على هذه الكائنات الهوج المتمردة ،
فأنت سترى رأى العين ماذا يحـدث حين يهرب
أحدها وينفلت الى سطح الأرض •

الرغيف : ان تطاول عمـرى وتجـربتى واخـلاصى تؤهلنى
بطبيعة الحال لأن تسند الىّ حماية هذين الصبيين،
من أجل هذا ، سيدتى فحمة الليل ، اسمحى لى
أن أوجه اليك سؤالا •

فحمة الليل : هاته •

الرغيف : اذا حاق بنا خطر فمن أىّ ناحية نهرب ؟

فحمة الليل : لا وسيلة للهرب •

هـو : (يأخذ المفتاح ويصـعد أوّل الدرج) لنبـدأ من
هنا ، هذا الباب البرونزى ، ما وراءه ؟

فحمة الليل : وراءه الأشباح فيما أعتقد ، لقد مضى زمن طويل
منذ أن خرجوا حين فتحت لهم الباب آخر مرّة •

هـو : (يضع المفتاح فى القفل) سأرى (الى الرغيف)
قفص الطائر الأزرق • أين هو ؟

الرغيف : (أسنانه تصطك) لا أقول هذا لأننى خائف ولكن
ألست ترى من الأفضل أن لا نفتح البـاب وأن
نكتفى باختلاس نظرة من ثقب القفل ؟

هــو : لم أطلب مشورتك .

ميتيــل : (تنفجر بالبكاء فجأة) أنا خائفة . أين قمع السكر؟ أريد أن أعود للبيت .

قمع السكر : (يقترب منها وهو مهموم لها ومحتف بها) انني هنا بجانبك يا آنستي ، كفكفي دمعــك ، سأقطع أحد أصابعي وأهبك حلوى نبوت الخفير .

هـو : فُضّوها وخلّصونا ، (يدير المفتاح في القفــل ويجذب الباب بحذر وحالمــا يفعل تنفلت خمسة أو ستة أشباح لكل منها هيئة عجيبــة تختلف عن هيئــة الآخــر ، وتنتشر في كل جانب ، يُلقى الرغيف من الرعب بالقفص ويختبيء في غيــابة البهو وتقوم فحمة الليل بمطاردة الأشباح وهي تصرخ في وجه تيلتيل .

فحمة الليل : اسرعوا اسرعوا ، اغلقوا الباب والا خرجوا جميعا ولم نستطع أن نقبض عليهم . انهــم في محبسهم يعانون الملل منذ ألِف الانسان أن يهــزأ بهــم (تطارد الأشــباح وتحاول أن تسوقهــم الى باب محبسهم مستعينــة بسـوط على شــكل أفعى) أعينوني ، أعينوني ، من هنا ، من هنا .

هــو : (الى الكلب) أعِنها يا تيلو ، هيّا .

الكلب : (وهو يقفز وينبح) نعم • نعم • نعم •

هـو : الرغيف ، أين هو ؟

الرغيف : (من مخبئه فى غيابة البهو) اننى هنا ، بجانب الباب حتى أمنع بقيتهم من الخروج •

(وحين يتقدم أحد الأشباح الى ناحيته نراه يهرب منه جريا وهو يطلق صيحات مرتعبة) •

فحمة الليل : (الى ثلاثة أشباح قبضت على أعناقهم) أما أنتم فمن هنا ، (الى تيلتيل) وارب الباب قليلا ، (تدفع بالأشباح الى الكهف) لا خير من بقائهم هناك ، (الكلب يسوق شبحين آخرين الى المحبس) هيّا ادخلا أنتما أيضا ، أنتم تعلمون أن لا خروج لكم الا يوم عيد جميع القديسين (تقفل الباب)•

هـو : (يذهب الى باب آخر) وماذا وراء هذا الباب ؟

فحمة الليل : وما جدوى بحثك ؟ لقد قلت لك ان الطائر الأزرق لم يأتِ هنا قط ، ولكن الأمر أمرك ، افتحه ان كان هذا يروقك • ستجد من ورائه الأمراض •

هـو : (والمفتاح فى القفل) أينبغى الاحتراس منها حين أفتحه ؟

فحمة الليل : لا تتعب نفسك ، انها يا ولداه صغيرة مسكينة هادئة

مستخذية لا تعرف طعم السعادة فان الانسان يَشن
عليها منذ زمن غاراته العنيفـة وبالأخص منذ أن
اكتشف الميكروب ، فافتح اذن لترى بنفسك .

(تيلتيل يفتح الباب على مصراعية فـلا
يرى شيئا) .

هـو : أَهم لا يخرجون ؟

فحمة الليل : لقد سلف لى أن أخبرتك ، فأغلبها قد أقعـدته
العـلة وقلة الهمّـة ، لأنهـا لم تجـد فى قلوب
الأطباء أقلّ ذرّة من الرحمـة ، فادخل لحظـة
فسترى بعينك .

هـو : (ما يكاد يدخل حتى يخرج) لم أجـد الطائر
الأزرق ، ان الأمراض بادية الملّة لم تقوّ حتى
على رفع رؤوسها .

(مرض صغير فى مباذله من ثياب المنزل
خف وعباءة وطاقية من القطن يخرج ويذرع
البهو جيئة وذهابا) .

هـو : انظروا ، هذا مرض صغير قد هرب ، مَنْ هو ؟

فحمة الليل : انه أصغرهم ولا خطر له ، هو الزكام . انه أقلّهم
لقاة للاضطهاد ، وأوفرهم عافية . (تنادى الزكام)

تعالَ هنا يا ولدى ، قد بكّرت فى الخروج قبل أوانك ، ينبغى لك أن تنتظر حلول الربيع •

الزكام : يعطس ويسعل ويمسح أنفه ويعود الى الكهف فيغلق تيلتيل بابه •

هـو : (يتجه الى الباب المجاور) لنرَ حكايتَه ، ما وراء هذا الباب ؟

نسمة الليل : احترس • وراءه الحروب ، انها بلغت اليوم ما لم تبلغه من قبل من الضراوة والعنفوان ، الله وحده يعلم ماذا عسى أن يحدث لو هربت واحدة منها ولكنها لحسن الحظ مفرطة البدانة من أثر التخمة ، ثقيلة الحركة ، فلنتساند جميعا ونستعد لصدّ الباب وأنت تواربه لتلقى نظرة عجلى الى ما وراءه •

(تيلتيل يأخذ كل حذره وهو يوارب الباب بحيث لا ينفرج الا بأقل قدر يتيح له أن يصوب من خلاله نظره ، فما يكاد يفعل حتى يقوس ظهره من شدة الجهد وهو يصد الباب ويصرخ) •

هـو : أسرعوا أسرعوا أسرعوا ، صدّوا الباب فى وجوههم ، قد رأتنى فأقبلت هاجمة على الباب تريد أن تقتحمه •

فحمة الليل : هيّا بنا جميعا نصدّ عليها البـاب بقـوّة ، وأنت يا رغيف ، ماذا دهاك ؟ ماذا تفعل ؟ تعـالَ معنـا نصدّ الباب جميعا فما أشدّ قوّتها ، ها قد نجحنا، انها قد استسلمت ، جاء نجاحنا فى آخر فُرصة ، (الى تيلتيل) أرأيت ؟

هـو : نعم ، ما أشـدّ ضـخامتها وما أبشـع منظـرها ، لا أظن أن الطائر الأزرق عندها •

فحمة الليل : لا ريب انه ليس عندها ، والاّ لكانت التهمته على الفور ، هل قنعت الآن ؟ ألست ترى أن لا جدوى من بحثك ؟

هـو : ينبغى أن أرى كل شىء ، هذه هى وصية بسمة النور الىّ •

فحمة الليل : وصـية بسمة النور ! ما أسـهل الكلام على مَنْ يخاف ويقبع فى داره •

هـو : فلنمضِ الى الباب المجاور • ما خبره ؟

فحمة الليل : اننى أحبس وراءه أصناف الدياجير والرعب •

هـو : هل أستطيع أن أفتح الباب ؟

فحمة الليل : كل الاستطاعة ، فانها على شىء من الهدوء ، شأن الأمراض •

(تيلتيل يفتح الباب بتوجس ويجــازف .
بنظرة الى ما وراءه) .

هــو : لا أرى شيئا . انها ليست وراء الباب .

فحمة الليل : (تنظر بدورها الى الكهف) يا بنات الدياجـير ،
ماذا تفعلن فلتخرجن اذن قليـلا ، ففى الخروج
متعـة لكنّ ، تفـكّ عنكن تجمّـد أوصـالكن ،
ويا بنات الرعب ، لا تخشين شيئا .

(تخرج بنات الدياجير وبنات الرعب ،
الجماعة الأولى فى ثياب سود ، والجماعـة
الثانية فى ثياب يميل لونها الى الاخضرار ،
ويتلمسن بمذلة خطوة لهن قصـــيرة خارج
الباب فاذا صدرت من تيلتيل حركة غـــير
متعمدة يسرعن الى دخول الكهف) .

فحمة الليل : ماذا أصابكن ، تجلّدن قليلا ، فليس هو الا صبىّ
لا يخرج من يده ايذاؤكن ، (الى تيلتيل) قـد
بلغ التهيّب عندهن ذروته ، اللهـم الا كبرياتهن
اللاتى تبصرهن فى غيابة الكهف .

(تيلتيل يصوب نظره الى غيابة الكهف)

هــو : ما أبشع منظرهن .

فحمة الليل : انهن مقيدات بالسلاســل ، هن وحـدهن اللائى
لا يخفن من الانســان ، اقفـل البــاب والاّ ثار
غضبهن .

هـو : (ينتقل الى الباب المجاور) هذا باب يخيّم عليه الظلام ، ما خبره ؟

فحمة الليل : وراءه أصناف من الأسرار ، فاذا لم تعدل عن اصرارك فلك أن تفتح الباب ولكن اياك أن تدخل، وكن أشدّ حذرا ، ولنستعد نحن جميعا لصدّ الباب عليها كما فعلنا مع الحروب •

(تيلتيل يوارب الباب بحذر شديد ويمد بخوف رأسه من خلال الفرجة) •

هـو : وىْ ، ما أشدّ البرودة ، انها تلسع عينىّ ، أسرعوا الى الباب فاغلقوه ، صدّوه لاحباط جهد من يدفعه ، (فحمة الليل والكلب والهرة وباقى الزمرة يصدون الباب) آه ، قد رأيت ••

فحمة الليل : ماذا رأيت ؟

هـو : (وهو مضطرب) لا أدرى ، انه شيء مرعب ، كن جميعا جالسات كالأصنام التى لا عيون لها. مَنْ كان هذا العملاق الذى أراد امساكى ؟

فحمة الليل : أظنه هو الصمت لأنه حارس هذا الباب ، لا ريب انك رأيت شيئا مرعبا فلا زلت لا يفارقك شحوبك وارتعاشك •

هـو : نعم ، رأيت شيئا لم أكن أتصوّره ، شيئا لم

يصادفني قط من قبل ، ان يدىّ قـد جمدتا من الصقيع .

فحمة الليل : سيحيق بك عما قريب بلاء أشدّ اذا مضيت في بحثك .

هـو : (ينتقل الى الباب المجاور) وهذا الباب .. أمن ورائه أيضا شيء مخيف ؟

فحمة الليل : كلا ، وراءه خليط من أشياء كثيرة ، انى أحتفظ وراءه بالنجوم الخامدة ، وعطورى المفضلة ، وبعض أصـناف من الوميض الذى اختص به وحـدى كوميض السعالى ووميض الدود المنير واليراعة المضيئة وأضم اليها أيضا قطر الندى وأغنية البلبل وما الى ذلك .

هـو : نعم قصدى أن أرى النجوم الخابية وأغنية البلبل كما تزعمين ، لا ريب ان هذا هو بابها .

فحمة الليل : افتحـه ان شـئت فليس لمَنْ وراءه شرّ يصيب أحـدا .

(تيلتيل يفتح الباب على مصراعيـه وما يكاد يفعل حتى تنفلت النجوم من المحبس على هيئة فتيات رائعات الجمال ، يجللهن وميض منوع الألوان ، وتنتشر في البهـو وتؤلف على الدرج وحـول الأعمـدة حلقات

ذات ظرف وحسن ، يغمرهن ضوء مثل
ضوء الغسق ، ثم تبدأ في رقصة دائرية .
وتنفلت أيضا عطور فحمة الليل على هيئة
أطياف رقت حتى تكاد العين لا تراها ،
وينفلت كذلك وميض السعالى واليراعة
المضيئة وقطر الندى الشفاف وتنضم الى
سابقاتها ، على حين تنبعث من الكهف أغنية
البلبل وتجوب أرجاء قصر فحمة الليل) .

ميتيل : (وهى تصفق بانبهار) ما أجملهن من فتيات .

هو : ما أبرع رقصهن !

هى : وما أطيب عرفهن !

هو : وما أحلى غناءهن .

هى : ومن هى هذه الأطياف التى تكاد العين لا تراها .

فحمة الليل : هى عطور ظلالى .

هو : وهاتيك اللاتى يشبهن سبائك النور الصافى ، مَنْ هُنّ ؟

فحمة الليل : انهن جماعة قطر الندى الذى تألفه الغابات والسهول ولكن آن للهوهن أن ينقضى ، سيتمادين فيه فلا يفرغن منه أبدا ، انهن اذا أخذن فى الرقص فلن أفلح الا بعد مشقة بالغة فى سوقهن الى المحبس من جديد. (تدعوهن الى الانصراف بدق كفّ على كفّ) هيا هيا اسرعن يا نجوم ، ليس هذا أوان الرقص فالسماء قد حجبتها سحب

كثيفة ، هيا هيا اسرعن ارجعن جميعا والا ذهبت
أتصيّد شعاعا من الشمس •

(النجوم والعطور تهرب فى رعب وتهرع
الى الكهف فينقفل عليها الباب وتنقطع أغنية
البلابل) •

هـو : (يتجه الى الباب الكبير فى غيابة البهو) هذا هو
الباب الكبير ، باب وسط البهو •

فحمة الليل : (بجدّ) لا تفتح هذا الباب •

هـو : لماذا ؟

فحمة الليل : لأن فتحه مُحرّم •

هـو : اذن فالطائر الأزرق مختبىء وراءه ، هذا ما قالته
لى بسمة النور •

فحمة الليل : (تكلمه بحنان الأمّ)أنصت الىّ يا بنىّ ، لقد
عاملتك بطيبة ومجاملة ، وفعلت لك ما لم أفعله
هنا لأحد من قبلك ، كشفت لك عن أسرارى ،
لأننى أحبك وأشفق على صباك وبراءتك ،
وها أنذا أكلمك كلام أمّ لوليدها ، انصت الىّ ،
صدقنى يا بنىّ ، كف عن بحثك ولا تمض فيه ،
اياك أن تتحدى القدر فتفتح هذا الباب •

هـو : (وقد تزعزع كثيرا) ولكن لماذا ؟

فحمة الليل : لأنى لا أحب لك أن تهلك ، لا أحد ، اسمع

كلامى ، لا أحد ممن فتحوا هذا الباب ولو بمقدار شعرة رجع حيّا لضوء النهار ، فان كل ما يتصوّره العقل من أصناف المخاوف وكل أنواع الهلع ، وكل ما يتحدث عنه أهل الأرض من الأهوال البشعة المنكرة لا تعدّ شيئا مذكورا اذا قيست حتى بأهون ما يهاجم الانسان منها اذا ما لمحت أول نظرة له حافة الهاوية التى لا يجرؤ أحد على تسميتها ، ينبغى اتقاء هذا الباب ، حتى أنا ، ان بقيت أنت على اصرارك رغم كل تحذير لن أجسر على التصدّى لهذا الباب ولو بلمسة من طرف أصبعى، فأرجوك أن تصبر حتى ألوذ ببرج لى منيع ليس به نوافذ ، الأمر الآن بين يديك ، وفق عقلك وتفكيرك .

ميتيل : (تنفجر باكية وتتوالى من الرعب صرخات لها لا يبين فى طيّها كلامها وتجاهد فى جرّ تيلتيل).

الرغيف : (أسنانه تصطك) لا تقدم يا سيّدى الصغير (يركع أمامه) رحمة بنا ، اننى أتوسّل اليك وأنا راكع أمامك ، أنت ترى أن فحمة الليل على حقّ .

الهرة : ان حياتنا جميعا هى التى تضحّى بها .

هو : لا مفرّ من أن أفتح الباب .

ميتيـل : (بدنها) ينتفض من النشيج لا أريد ، لا أريد .

هـو : ليأخذ كل من الرغيف وقمع السكر أختي ميتيل من يد للهرب معها فاني عامد الى فتح الباب .

فحمة الليل : ليهرب من قـدر ، سارعـوا الى الخروج ، فقـد آن الأوان .

(تهرب فحمة الليل) .

الرغيف : (يهرب في ذعر) انتظر حتى نبلغ على الأقل باب البهو .

الهرة : (تهرب أيضا) انتظر ، انتظر .

(يختبئون وراء الأعمدة في الطرف الأدنى من البهو ويبقى تيلتيل وحـــده مع الكلب بجانب الباب الكبير) .

الكلب : (يلهث ويلحقه الفـواق وهـو يجاهـد في كتم هلعه) أما أنا فسأبقى ، سأبقى ، لست بخـائف ، سأبقى ، سأبقى الى جانب مولاى الصغير سأبقى، سأبقى .

هـو : (يربّت عليه) أحسنت ، أحسنت ، تعال يا تيلو قبّلني ، ها نحن قد أصبحنا لا ثالث لنا فلنتجلّد ، والا فالويل لنا . (يضع المفتاح في القفـل فتبعث صرخة رعب من الطرف الأدنى للبهو حيث لاذ

الهاربون ، وما يكاد المفتاح يلمس القفـل حتى ينشق الباب الكبير من وسطه وينزلق مصراع الى اليمين ومصراع الى اليسار ويختفيان داخل جدار الباب فتتبين فجأة حديقة مدهشة كأنما أبدعتها أروع الأحـلام وجلّلتهـا بضياء الغسق ، جاوزت فى جمالها حدّ كل تصديق وكل قيد وكل وصف بالكلام ، تحلق بهـا خـلال الكواكب والنجـوم سروب من طيور زرق كأنهـا الحور تضىء كل شىء تلمسه وهى لا تنفك فى طيرانها تلمّ بجوهرة اثر جوهرة وتتنقل من شعاع اثر شعاع من أشعة القمر ، وهى تحوم دواما وفى انسجام حتى تبلغ حدّ الأفق ، أصبحت من كثرتهـا يظن انهـا أنفاس هذه الحديقة المدهشة وسماؤها الزرقاء ، بل يظن انها هى الحديقة ذاتهـا ، تيلتيل واقف يغمره ضوء الحديقة وهو منبهر فى ذهول .

هنو : ما أبدعها من سـماء (يلتفت ناحيـة الهـاربين) اسرعوا ، تعـالوا ، الطيـور الزرق هنـا ، بعينهـا وذاتها ، لقد فزنا بها أخيراً ، آلاف من الطيـور الزرق ، بل ألف ألف منها ، عندنا منها هنا أكثر من مطلبنا بكثير ، تعالىْ يا ميتيل ، تعال يا تيلو ، تعالوا جميعاً ، أعينونى (يندفع نحو الطيور) انها

فى متناول اليد . طيعة لا ترهبنا ، تعالوا من هنا
(تسرع اليه ميتيل يرافقها الآخرون ويدخلون
الى الحديقة المدهشة ولا تتخلّف عنهم الا فحمة
الليل والهرّة) انظروا ، انظروا ، ما أوفر
عددها ، انها تتهاوى على أكتافنا ، انظروا ، انها
تأكل ضوء القمر ، ميتيل ، أين أنت اذن ، من
كثرة الأجنحة الزرق وريشها المتساقط أصبحت
لا أتبين شيئا سواها ، اياك أن تعضّها يا تيلو ،
لا تؤذها تناولها برفق .

ميتيل : (تحف بها الطيور الزرق) اقتنصت سبعة منها .
كم تصفق أجنحتها ، ان يدى لا تفلح فى القبض
عليها .

هو : وأنا كذلك ، فقد أمسكتُ منها بعدد أكثر من ملء
يدى ، ها هى قد هربت ، ها هى قد عادت ، وتيلو
كذلك قد أمسك ببعضها ، انها تجرفنا معها وتكاد
تحملنا الى السماء ، تعالوا نخرج من هنا ، ان
بسمة النور تنتظرنا ، ما أشد سرورها حين ترى
غنيمتنا ، من هنا ، من هنا . (يغادرون الحديقة
فى لهفة وأيديهم ملأى بطيور زرق تصفق أجنحتها
ويخترقون البهو وسط موجة من أجنحة مضطربة

ويخرجون من ناحية اليمين من حيث دخلوا من قبل ، ووراءهم الرغيف وقمع السكر ولم يمسك أحدهما بطائر • وتبقى فحمة الليل والهرة وحدهما فتصعدان الى غيابة البهو تتأملان الحديقة بقلق) •

فحمة الليل : أتراهم قد فازوا بالطائر الأزرق ؟

الهرة : كلا ، فانى أراه فوق شعاع من أشعة القمر لم تطله أيديهم لأنه جاوزها بارتفاعه •

(وتهبط الستار فلا تلبث ان تدخل بسمة النور من اليسار أمامها فى عين الوقت الذى يدخل فيه من اليمين أمام الستار كل من تيلتيل وميتيل والكلب وهم يندفعون وأيديهم مثقلة بالطيور الزرق ولكنها أصبحت جثثا هامدة ، رؤوسها متدلية وأجنحتها محطمة) •

بسمة النور : هل ظفرتم بطائر أزرق ؟

هو : نعم ، نعم ، بقدر ما نودّ ، بل بألف منه ان شئنا ، ها هى ذى أمامك ، هل ترينها ؟ (ينظرون الى الطيور وهم يمدّون بها الى بسمة النور فيتبيّنون انها فارقت الحياة) ماذا جرى ، انها ماتت ، ماذا فعلوا بها ؟ طيورك أنت يا ميتيل ، أميّتة هى أيضا طيور تيلو ميتة كذلك (يُلقى وهو محنق بجثث

الطيور) مستحيل أن أصدق ، يا للبشاعة ! من
الذى قتلها ، اننى جدّ تعيس . « يخفى رأسه
فى ابطه وينتفض بدنه بالنشيج » .

بسمة النور : (تحضنه بحنان الأم) لا تبك يا بنىّ ، انك لم
تمسك بالطائر الأزرق الذى يقوى على العيش
فى ضوء النهار . لقد أفلت منا ، ولكننا سنجده
ولا ريب .

الكلب : (يتأمل جثث الطيور) أتصلح للأكل ؟
(يخرجون جميعا من اليسار) .

« ستار »

المنظر الخامس

الغـــابة

(الغابة ، والوقت ليل ، والقمر مضىء ، وأشجار هرمة من أصناف مختلفـــة ، من أبرزها شجرة سنديان ، وزان ، ودردار ، وحور ، وصنوبر ، وسرو ، وزيزفـــون ، وقسطل الخ الخ ..) .

(تدخل الهرّة) .

الهرة : (وهى تحنى رأسـها بالتحية والتوقـير أمام كل شجرة) الى كل شجرة هنا ، تحية وسلاما .

الأشجار : (وأوراقها تهمس) تحية لك وسلاما .

الهرة : يومنا هذا يوم أغرّ ، فان عـدوّنا سـيأتى ليفكّ عقـالكن ويسلم اليـكن رقبتـه ، انه تيلتيل ابن الحطاب الذى طالمـا نالكن بالأذى ، انه يبحث عن الطائر الأزرق الذى تخفينه عن الانسان منذ بدء الخليقة ، والذى يعلم وحده سرّنا ، (همس أوراق الشجر) ماذا تقُلن ؟ آه ! انهـا شـجرة الحـــور التى تتكلم ، نعـــم انه يملك المـــاسة السحـرية التى تكشف عن سريرتنـا ، انه قـد

يرغمنا على أن ندفع له بالعصفور الأزرق ،
ونصبح جميعاً بعدئذ أسرى فى قبضة الانسان وتحت
رحمته ، (همس أوراق الشجر) من تتكلم ؟
أنت يا شجرة السنديان ؟ كيف حالك ؟ (همس
أوراق شجرة السنديان) لا يفارقك الزكام أبدا ؟
هل كفّ الليمون عن علاجك ؟ تشكين دائما من
الروماتزم ؟ سببه ـ صدّقيني ـ هو هذه
الأعشاب الكثيرة التى تفرطين فى لفّ قدميك
بها ، هل الطائر الأزرق ما يزال عندكن ؟
(همس أوراق شجرة السنديان) ماذا تقولين ؟
نعم ، لا مجال للتردّد ، هذه فرصة متاحة لنا
ينبغى أن نقتنصها ، لا بُدّ من القضاء على الصبى
(همس أوراق الشجر) ماذا تَقُلن ؟ نعم ، انه
مع أخته ، ينبغى أن تموت هى أيضا ، (همس
أوراق الشجر) نعم ، الكلب يرافقهما أيضا ،
هيهات أن نبعده عنهما ، (همس أوراق الشجر)
ماذا تقلن ؟ نقدم اليه رشوة ؟ هذا مستحيل ، لقد
جرّبنا كل حيلة فلم نفلح ، (همس أوراق
الشجر) ها أنت يا شجرة الصنوبر تتكلمين .
اعددن أربعة ألواح من الخشب لأربعة نعوش ،
فتلتيل ترافقه أيضا النار وقمع السكر والماء

والرغيف ، انهم جميعا فى صفّنا اللهم الا الرغيف فهو غير مضمون ، بسمة النور وحدها لهـا ولاء للانسان ولكنها لن تأتى فقد قمتُ باقناع تيلتيل وأخته بالتسلل خفيـة حين نامت ، هـذه فرصـة فريدة (همس أوراق الشـجر) هأنذا أسـمع صوت شجرة الزان ، نعم ، الحق معك ، نعـم ، ينبغى ابلاغ الخبر الى الحيوانات ، هـل الأرنب ما يزال يملك طبلتـه ؟ انه عنـدكن ؟ فليدق على الطبلة لينادى جميع الحيوانات ، ها هم أصـحابنا قـد أتوا .

(يبتعد صوت دق الطبلة ، يدخل تيلتيل وميتيل والكلب) .

تيلتيل : أهـذا هو المكان ؟

(الهرة تسرع فى اهتمام الى لقائهمـا وتفرط فى مظاهر الاحترام لهما والحفـاوة بهما) .

الهرة : ها أنت ذا قد أتيت يا سيّدى الصغير ، ما أجمل طلعتك وأبهى عافيتك هذا المساء ، لقـد سـبقتك لأعلن عن مقـدمك ، كل شىء على ما يُـرام ، سنظفر بالطائر الأزرق هذه المرّة ، انى واثقـة من ذلك ، لقد بعثت بالأرنب يدق طبلته منـاديا أكابر حيوان هذه المنطقة ، انها متهيبة لا تجسر

على الاقتراب (ضجة أنواع مختلفة من الحيوان من بينها بقر وجاموس وخنازير وجياد وحمير الخ الخ) (الهرة تنتحى بتيلتيل جانبا وتهمس له) ولكن لماذا جئت بالكلب ؟ لقد سلف أن قلت لك انه على خصام مع الجميع ، حتى مع الأشجار ، وأخشى أن يفسد كل شيء برفقته الكئيبة .

هـو : لم أستطع التخلص منه (الى الكلب مهدّدا) هل لك أن تغرب عنى أيها اللعين !

الكلب : مَنْ ؟ أنا ؟ لمَ ؟ ماذا فعلت ؟

هـو : قلت لك أغرب عن وجهى ، أصَعبٌ عليك أن تفهم ؟ المسألة بسيطة ، لسنا فى حاجة اليك ، انت تضايقنا باصرارك وقد نفد صبرنا .

الكلب : سألجم لسانى ، سأتبعكم من بعيد فلا يرانى أحد، هل أقف لك على ساقىّ وقفة المستجدى ؟

الهرة : (تهمس لتيلتيل) هل تصبر على هذا العصيان ؟ اضربه بعصاك مرارا على أنفه ، انه حقا لا يُطاق.

هـو : (يضرب الكلب) هذا درس يعلّمك المسارعة الى الطاعة .

الكلب : (يصرخ من الألم) آىْ ، أىْ ، أىْ .

هـو : ماذا تقول ؟

الكلب : ينبغى أن أقبّل اليد التى ضربتنى ، ضرب الحبيب كأكل الزبيب ، (الكلب يغالى فى التمسّح بتيلتيل ويرشقه بقبلات حارة .

هـو : رشادَكْ ، أحسنت أحسنت ، وهـذا يكفى ، فاغرب الآن عن وجهى .

ميتيـل : كلا كلا ، أريده أن يبقى ، انى أخـاف من كل شىء فى غيبته .

(يثب الكلب الى ميتيل حتى يكاد يوقعها ويفيض حماسة ولهفة وهو يربت عليها) .

الكلب : نعم الفتاة الطيبة القلب ، ما أجملها ! ما أطيبهـا ، ما أجملها وأرقها ، ينبغى أن أقبلك مرة وأخرى .

الهرة : يا له من غرّ مأفون ، لنـدع هـذا لما بعـد ، ولا نضع الوقت ، (الى تيلتيل) أدر الماسة .

هـو : أين ينبغى لى أن أقف ؟

الهرة : تحت هـذا الشعاع من القمر ، اذ تحتـه تحسُن الرؤية ، نعم هكذا ، أدر المـاسة برفق .

(تيلتيل يدير المـاسة فما يكاد يفعـل حتى تدب رعشة فى الغصـون والأوراق

وتنشق جذوع الأشجار التى هى أكثر هرما وضخـــامة لتلفظ سرائرها المكنونة وكل سريرة تطابق شجرتها فى الطبع والهيأة ، فسريرة شجرة الدردار مثلا على هيئة قزم ممسوخ أكـــرش لا ينفك يلهث من فرط بدانته ، وسريرة شجرة الزيزفون مطمئنـــة ذات الف وبشاشة ، وسريرة شجرة الزان أنيقة خفيفة الحـركة ، وسريرة شـــجرة التابول بيضـــاء البشرة متحفظة قلقـــة ، وسريرة شجرة الصفصاف مدكوكة مشعثة الشعر نواحة ، وسريرة شـــجرة الصنوبر هيفاء ممشوقة القامة ذات تكتم وصــــمت ، وسريرة شجرة السرو ذات شجن يوحى بجو مأساة ، وسريرة شجرة القسطل ذات غرور وحذلقة ، وسريرة شجرة الحور ذات مرح ونزوات وثرثرة ، بعض السرائر تخرج من جذوع الأشجار متثاقلة مجمدة الأوصـــال فتتمطى كأنما تنفلت من قيـــد أو كرى طال دهورا ، وبعضها يخرج قفـــزا فى نشاط ويقظة وعجلة ، وتلزم كل سريرة ما أمكنها جوار الشجرة التى ولدتها) .

شجرة الحور: (وهى أول من ينطلق وتصرخ بصـــوت عال)
جاءنا أناس ، جاءنا أناس فى سنّ الصبا ، سيتاح لنا أخيرا أن نتكلم ، قد انتهى عهد الصمت ، انتهى ، من أين أتيا ؟ ما شأنهما ؟ منْ هُما (تتقدم شجرة الزيزفون على مهل وهى تدخن غليونها بهدوء) .
أتعرفينهما أنت يا شجرة الزيزفون ؟

شجرة الزيزفون : لا أذكر أننى رأيتهما من قبل •

شجرة الحور : كيف ؟ رأيتيهما من قبل ولا ريب فأنت تعرفين الناس جميعا فمقامك دائما بجوار بيوتهم •

شجرة الزيزفون : (تتفحص الصبيين) أؤكد لك اننى لا أعرفهما ، فهما لا يزالان صبيين ، اننى لا أعرف الا العشاق الذين يأتون لزيارتى فى ضوء القمر ، السكارى الذين يشربون الجعة تحت غصونى •

شجرة القسطل : (فى أنفة وهى تُحكم فى كبرياء مصطنعة وضع نظارتها الفرد فوق عين لها) ما الذى أرى ؟ انهما من الفقراء ، من الفلاّحين •

شجرة الحور : بعض هذا التعاظم يا ذات الصون والعفاف ، هذا دأبك مذ ترفعت الا عن سكنى الشوارع الفسيحة فى العواصم •

الصفصاف : (تتقدم وهى نوّاحة ، فى قدميها خفّان من خشب) يا الهى ، يا الهى ، لقد عاد الانسان مرة أخرى ليقطع رأسى وأوصالى ويحملها حطبا له •

شجرة الحور : اصمتى ، ها هى شجرة السنديان تخرج من قصرها ، انها عليلة هذه الليلة ، ألا ترونها قد شاخت ؟ كم يبلغ عمرها فى ظنكن ؟ تقول شجرة الصنوبر عنها ان عمرها أربعة آلاف سنة ،

ولكنى واثقة أنهـا تغـالى ، انتبهن ، ان شـجرة
السنديان ستفضى لنا بخبرها .

(تتقدم شجرة السنديان بهدوء ، لامثيل
لهرمها الا فى تهاويل الأساطير والخرافات،
على رأسها تاج من النباتات ، وعلى بدنهـا
ثوب طويل أخضر مزركش بالأعشاب ، هى
عمياء ، شعرها الأشعث متهدل حول وجهها،
تعتمد يد لها على عصا معقدة ، ويد أخرى
على شجرة سنديان صغيرة تقـود خطاها ،
الطائر الأزرق حاطط على كتفها ، وحـين
تقترب تصطف بقية الأشجار وتنحنى لهـا
تبجيلا واحتراما) .

تيلتيل : الطائر الأزرق عندها (الى شـجرة السنديان)
اسرعى ، اسرعى ، تعالى من هنا ، اعطنى الطائر .

الأشجار : اصمت ، انها شجرة السنديان .

شجرة السنديان : (لتيلتيل) من أنت ؟

هـو : أنا تيلتيل يا سيّدتى ، متى أستطيع أخذ الطائر
الأزرق ؟

شجرة السنديان : تيلتيل ابن الحطاب ؟

هـو : نعم سـيّدتى .

شجرة السنديان : قد أصابنا على يد أبيك شرّ كبير ، فقد صرع من
أسرتى سـتمائة من أبنـائى ، وأربعمائة وخمسة
وسبعين من أعمامى وعمّاتى ، وألفاً ومائتين من

أولادهم ، وثلاثمائة وثمانين من زوجات أبنائى
واثنى عشر ألفا من أحفادى •

هـو : لا أعرف هذا يا سيّدتى ، غير أنه لم يصرعهم عمدا •

شجرة السنديان : ماذا جئت تفعل هنا ؟ ولماذا أطلقت سرائر الأشجار من مكامنها ؟

هـو : عفوا سيّدتى اذا كنت قد أزعجتكن ، هى الهرة التى قالت لى أننى سأعرف منكن أين هو الطائر الأزرق •

شجرة السنديان : نعم ، أعلم هذا ، انت تطلب الطائر الأزرق وهو السرّ الأعظم للأشياء كافة ، وهو سرّ السعادة أيضا ، وبذلك يتاح للانسان حين يملكه أن يشتد فى تطويقنا بأغلال الأسر والعبودية •

هـو : كلاّ يا سيّدتى ، وانما أطلبه لبنت الساحرة غرباوية فانها جدّ مريضة •

شجرة السنديان : (تومىء اليه آمرة بالصمت) كفى ، مالى لا أسمع الحيوانات ؟ أين هُمْ فان حكايتك تهمّهم كما تهمنا ، وينبغى اذن أن لا يقع على عاتق الأشجار وحدها اتخاذ القرارات الخطيرة التي يتطلبها الموقف ، فلو علم الناس ما نحن مقدمات على فعله

لانتقموا منا بقسوة ، فينبغى اذن أن تكون خطتنا مرسومة باتفاق الجميع ليصح تعهد الجميع بكتمان السر والتزام الصمت •

شجرة الصنوبر : (تمد نظرتها وهى تعلو بقية الأشجار) الحيوانات قادمة وراء الأرنب ، هذه هى سريرة الجواد والثور والجاموسة والبقرة والذئب والحمل والديك والعنز والحمار والدب ، وكلما ذكرت شجرة الصنوبر اسما لحيوان دخلت سريرته ثم تجمعت السرائر وجلست بين الأشجار اللهم الا سريرة العنز فانها أخذت تتواثب هنا وهناك والا سريرة الخنزير فانها عمدت الى نبش جذور الأشجار •

شجرة السنديان : هل حضر الجميع ؟

الأرنب : الدجاجة اعتذرت بأنها راقدة على بيضها ، والأرنب البرى بأن وراءه مشوارا ، والغزالة بألم فى قرنيها ، والثعلب بأنه مريض ، وأرسل شهادة بذلك من طبيبه ، أما الأوز فلم تفهم ، والديك الرومى انفجر غاضبا •

شجرة السنديان : تخلف هؤلاء يؤسف له كل الأسف ، ولكن عدد الحاضرين كاف لعقد الاجتماع • يا أخواتى

انتم تعلمون المسألة . هـذا الصبىّ الذى أمامكم يستطيع أن يضع يده على الطائر الأزرق بفضل طلسم اختلسه من قُدرة الأرض وبذلك ينتزع منـا السرّ الذى حرصـنا على اخفـائه منـذ بدء الخليقـــة . ونحن على علم بالانســان بحيث لا يخامرنا أقلّ شكّ فى المصير الذى ينتظرنا ، اذا تملك هـذا السرّ . من أجـل ذلك فان كل تردد من جانبنا هـو فى نظرى جرم وحمـاقة ، الساعة خطيرة ، وينبغى القضاء على الصبى قبـل فوات الوقت .

تيلتيل : ماذا تقول ؟

الكلب : (يدور حول شجرة السنديان وهـو مكشّر عن أنيابه) هل ترين أسنانى أيتها العجوز الكسيحة ؟

شجرةالزان : (فى حنق) انه يهين شجرة السنديان .

شجرة السنديان : أهذا هو الكلب ؟ اطردوه ، ينبغى لنا أن لا نصبر على اندساس خائن بيننا .

الهرة : (تهمس الى تيلتيل) أبعده ! هذا سوء تفاهم دعه لى فانى سأعالج الأمر ، ولـكن ينبغى أن تسرع فى اقصاء الكلب .

هــو : (الى الكلب) ألا تنصرف ؟

الكلب : دعنى أمزّق خفىّ هذه الكسحانة وسنضحك مما يحدث لها .

هــو : احترس وانصرف ، انصرف يا قح يا ثقيل الدم .

الكلب : طيّب طيّب ،سأنصرف وسأعود حين تحتاج الىّ.

الهرة : (تهمس الى تيلتيل) من الأحوط أن تقيّده والا عاد لحماقاته ، ان الأشجار تغضب وتكون العواقب وخيمة .

هــو : ماذا أفعل ؟ لقد أضعت سلسلته .

الكلب : (وهو يزمجر يهدد شجرة السنديان) سأعود ، سأعود يا مقطوعة النَفْس يا فريسة الربو ، تبا لكن من أشجار كسيحات فى سن اليأس ، ان الهرّة هى رأس المؤامرة ، سأصفى الحساب معها ذات يوم ، فيم همسك ووسوستك يا خائنة ، يا لئيمة ، (ينبحها) .

الهرة : (لتيلتيل) أرأيت كيف يهين الجميع ؟

هــو : هو حقا لا يطاق ، انه يشوّش علينا فلا نسمع ما يقال ، سيدى اللبلاب ، هل لك أن تقيّده ؟

اللبلاب : (يتقدم بحذر الى (الكلب) هل يَعض ؟

الكلب : (وهو يزمجر) على العكس ، على العكس ، ان الكلب سيقبلّك انتظر فسوف ترى ما يحدث لك . اقترب . اقترب قليلا أيها الوغد بأحابيلك العتيقة .

هو : (يهدّده بالعصا) تيلو !

الكلب : (يجثم تحت قدمى تيلتيل ويهزّ ذيله) ماذا تريد منى أن أفعل يا مولاى الصغير .

هو : ارقد على بطنك وأطع اللبلاب ودعه يقيّدك والاّ ..

الكلب : (يزمجر واللبلاب يقيّده) أوصالك خيوط مزقة يا حبل المشنقة ، يا مقود الثور ، يا سلسلة الخنزير ، انظر يا مولاى الصغير ، انه سيلوى ساقىّ .

هو : جزاءً وفاقا فهذا ما كنت تطلب ، اخسأ واهدأ ، فأنت لا تطاق .

الكلب : لا أبالى ، ولكنك مخطىء ، انهم يضمرون لك أسوأ النيات فاحترس يا مولاى الصغير ، ها هو يكمّم فمى فلن أستطيع الكلام .

اللبلاب : (وقد كوّر الكلب بعد شدّ وثاقه) أين أمضى به ؟ لقد أحكمت وثاقه ولن يفتح فمه .

شجرة السنديان: اربطه باحكام وراء جـذعى وشـده الى أضـخم جذورى ، وسنتدبر مصيره فيما بعد .

(يستعين اللبلاب بشجرة الحور ويحملان الكلب ويضعانه وراء جذع شجرة السنديان)

شجرة السنديان: هل فرغتما ؟ حَسَنٌ ، الآن وقد تَخلّصنا من هذا الشاهد المقلق ، هذا الخائن ، فلنتشاور فيما يقضى به الحق والعدل فى نظرنا ، لا أخفى عليكم ما أحسّ به فى أعماقى من اهتيـاج مُضْنٍ ، فهذه هى أول فرصة يتاح لنـا فيهـا أن نحاكم الانسـان ، وأن نشعـره بسطوتنـا ، أظن ان الانسان بعد كل الذى ذقناه على يديه من الشرور ومن المظالم الفادحـة لا يخامره أدنى شـكّ فى الجزاء الذى يستحقه .

كل الأشجار وكل الحيوانات نعم ، نعم ، هو يعلم الآن علم اليقين ، الى المشنقة، الى المـوت ، لطالمـا ظلمنـا ، وطالمـا سـدر فى غلوائه ، لقد نفد صـبرنا ، فلنسحقـه ونلتهمه ، فورا ، فورا . .

هـو : (للهرة) ماذا جرى لهم ؟ انهم غاضبون .

الهرة : لا تنزعج ، انهـم غضاب لأن الربيـع قـد تأخر قدومه دع الأمور لى ، وسأعالجها جميعا .

شجرة السنديان : كان حتما أن يصدر حكمنا باجماع الآراء ، وبقى علينا أن نعرف اذا شئنا تجنّب ثأر الانسان كيف نختار من بين طرائق القتل أحكمها وأسهلها وأسرعها وأضمنها وأقلّها دلالة على التهمة اذا ما عثر الناس على جثتى الصبيين فى الغابة .

هو : ما هذا كله ؟ ما هدفهم ؟ لقد بدأت أضيق ذرعا بهم ، ما دامت شجرة السنديان عندها الطائر الأزرق فلتسلمه الىّ .

الثور : (يتقدم اليه) أيسر طرائق الموت وأحكمها أن أطعنه بقرنى فى بطنه ، فهل تريدون أن أنطحه؟

شجرة السنديان : من الذى يتكلم ؟

الهرة : انه الثور .

البقرة : الأفضل لى أن أنأى عن المتاعب فلا دخل لى فى هذا الموضوع ، وانى منصرفة الى أكل هذا العشب كله فى المراعى التى ترونها فى زرقة القمر ، ان ورائى عملا طويلا يشغلنى .

الجاموسة : وكذلك أنا ، وانى على كل حال أقرّ مقدما كل شىء تفعلونه .

شجرة الزان : انى أقدم أعلى فروعى ليشنق عليها .

اللبلاب : وأكون أنا حبل المشنقة .

شجرةالزان : وأمدّكم أنا بألواح للنعوش الأربعة الصغيرة .

شجرةالسرو: وأهيىء أنا لهم قبرهم الأبدىّ .

شجرةالصفصاف: أسهل الطرائق أن نغرقهم فى أحد الأنهار التى أطلّ عليها ، دعوهم لى .

شجرة الزيزفون : (وهى تمهّـد للصلح) رشـادُكم رشـادكم ، أحتم أن نلجأ للعنف ، انهما ما يزالان فى نضارة الصبا ، ونحن نقدر بسهولة أن نغلّ أيديهما عن احداث الشرّ بأن نبقيهم أسرى داخـل سـياج أتولى أنا بنفسى اقامته من ضلوعى .

شجرة السنديان : مَنْ التى تتكلم هكذا ؟ (يدلنى صوتها المعسول انها شجرة الزيزفون) .

شجرة الصنوبر : صـدقتِ .

شجرة السنديان : اذن نكبنا كالحيوان باندساس خائن بيننا ، لقـد ظفرنا الى اليـوم بولاء جميع الأشجار اللهم الا أشجار الفاكهـة وهى على كل حال لا تعـدّ فى الحقيقة أشجارا بمعنى الكلمة .

الخنزير : (يدير مقلتين صغيرتين نهمتين) أما أنا فأظن انه ينبغى أوّلا أن نلتهم البنت الصغيرة فـلا بُدّ أن لحمها طرىّ .

تيلتيل : ماذا يقول هذا الأحمق ؟ انتظر قليلا يا ...

الهرة : لا أدرى ماذا دهاهم ، ان مسلكهم لا يبشّر بخير

شجرة السنديان : سكوت ! المسألة الآن هى أن نعرف من ينال شرف توجيه أول طعنة ومن يزيح عن هامتنا أكبر خطر يتهددنا منذ ولد الانسان .

شجرة الصنوبر : هذا الشرف حق لك فأنت أمّنا وسيّدتنا .

شجرة السنديان : أهذه شجرة الصنوبر التى تتكلم ؟ اننى مع الأسف عجوز طاعنة فى السّن ، عمياء عليلة ، وأصبحت أوصالى من الخدر تأبى أن تطيعنى ، كلاّ ، بل أنتِ يا أختى يا شجرة الصنوبر وأنت دائما مخضرة ، مستقيمة لا تعرف الانحراف ، شهدت عيناك مولد أغلب هذه الأشجار ، أنت أحقّ بدلى بمجد تحريرنا جميعا .

شجرة الصنوبر : شكرا لك يا أمّى المبجلة ، ولكن ما دمت قد نلت أنا شرف اعداد قبر لهذين الصغيرين فانى أخشى اذا وقع اختيارك علىّ أن أثير غيرة زميلاتى ، وأظن اذا تنحينا نحن الاثنتين عن هذا الشرف فان الجديرة بعدنا هى شجرة الزان ، لأنها تفوقنا عراقة ، ثم ان ضربتها أشدّ لأنها أصلبنا عودا .

شجرةالزان : لا يغيب عنكم ان السوس قـد نخر أوصالى وأن ضربتى لم تعـد مُحكمة ، أما شـجرة الدردار وشجرة السرو فلهما سلاح ماضٍ •

شجرة الدردار : ليس أشـهى علىّ من نوال هـذا الشرف ولكنى أكاد لا أحسن صلب عودى ، وقد قرض فأر هذه الليلة ابهام قدمى •

شجرةالسرو: أما أنا فعلى استعداد ، ولـكنى على غرار أختى شجرة الصنوبر اذا فاتنى شرف اعداد القبر فانى سـأحظى على الأقـلّ بميزة الانفـراد بذرف الدمـوع على هـذا القبر وليس من العدل أن أجمع بين وسامين • واسألا شجرة الحور •

شجرةالحور : أنا ؟ هل اتجه ذهنكما الىّ ؟ ولكن خشبى طرىّ شأن لحم الأطفال ، ثم انى لا أدرى ماذا دهانى، انى أرتجف من الحمّى ، انظروا الى أوراقى ، لا بُد أن البرداء أصابتنى اليوم عند الفجر •

شجرة السنديان : (تنفجر غاضبة) أنت ترهبين الانسان حتى هذين الصبيين الغريرين ، وكلاهما مضيّع أعـزل من السلاح ، انهمـا ينفخـان فى قلبك بهـذا الرعب الخفىّ الذى طالمـا طوّقنـا بما نحن فيـه من ذُلّ ورقّ ، انى أرفض هـذا الكلام ، كفى ،

ما دام الأمر كذلك وما دامت الفرصة المتاحة هي فرصة العمر فسأمضي أنا وحدي ، أنا العجوز الكسيحة المرتعشة العمياء للاقتصاص من عدوّنا الأزلي . أين هو ؟

(تتهادى بحذر على عصاها وتتقدم نحو تيلتيل) .

هو : (يستلّ السكين من جيبه) مني وحدي تريد أن تقتص هذه العجوز أمّ النبوت الضخم .

(تند من بقية الأشجار صرخة فزع لرؤية السكين ، هي في يد الانسان سلاح يحارون في سره ، بتار لا يقاوم ، فيتوسطن بين الاثنين ويمسكن شجرة السنديان) .

الأشجار : السكين ! احترسي ، السكين .

شجرة السنديان : (وهي تدافعهن) أتركنني ، فما الجدوى ، ان نجوتُ من السكين فلن أنجو من البلطة ، مَنْ التي تمسك بي ؟ أأنتن جميعا هنا ؟ ماذا ؟ أهذا اتحاد منكن على نية واحدة . (تقذف بعصاها) اذن لتكن مشيئتكن ، والعارُ لنا جميعا ، لن ينقذنا بعد الا الحيوان .

الثور : نعم هو هذا ، أنا لهما ، فبنطحة واحدة من قرني (تعمد البقرة والجاموسة الى شدّه من ذيله) .

البقـرة والجاموسة : لمـاذا تحشر نفسك ، اياك والحماقة ، هذه مسألة وخيمة العواقب سندفع نحن غُرمها ، دعها اذن للحيوانات الضارية فهذا هو شأنها .

الثـور : كلا كلا بل شأنى أنا ، اصبرا فتريا ، ولكن اذا لم تمسكا بى فقد تقع نكبة .

تيلتيل : (الى ميتيل وقـد انبعثت منهـا صرخـة حـادة) اختبئى ورائى ، لا خوف وهذه السكين فى يدى .

الديك : شجاعة هذا الصبى يا لها من شجاعة ..

هـو : هل قرّ قراركم ؟ الاقتصاص منى أنا ؟

الحمـار : أكيدٌ يا بنىّ ، كيف تطلّب فهمك للحقيقة مثل هذا الوقت الطويل .

الخنزير : لك أن تصلّى ، فافعلْ ، فقد حانت منيتك ، ولكن لا تحجب عنا صبيّتنا الصغـيرة ، أريد أن أُمتـع عينى بالنظر اليها فانها هى أوّل من سألْتَـهم .

تيلتيل : وهل أنا أجرمتُ فى حقكم ؟

الشـاة : لا سمح الله .. ما الاجرام فى أنك أكلت وليدى وأخى وأختى وأعمامى الثلاثة ، وعمّتى ، وأبى وأمى ، صبرا صـبرا ، حـين يُطرح بك أرضا سترى أن لى أنا أيضا أنيابا وأضراسا .

الحمـــار : وأن لى ظلفا حاداً قوى الشكيمة ٠

الحصـــان : (يفحص الأرض بقوائمـه مزهـواً) سـترى ما سترى ، قـل لى ، أيهمـا أحبّ اليـك ؟ أن أنهشك بأسنانى أم أبططك بحـوافرى (يتقـدم بخيلاء نحو تيلتيل فيتصـدى له ويشهـر السكين فى وجهـه فيصاب الحصان فجـأة بالذعر ويتولى الادبار وينطلق كالسهم) يا للداهية ، ليس هذا بعدل ، ليس هذا من أصول اللعب ، أن يدافـع عن نفسه ٠٠

الديك : (وقـد عجز عن كتمان اعجـابه) لا شـكّ انه صبىّ جسور ٠

الخنزير : (للـدب والذئب) فلنهجـم عليهمـا جميعـا وسأسـندكما من خلفٍ سـنطرحهما أرضـا ، ونقتسم الصبيّة حين تقع ٠

الذئب : شاغِلْهما من أمام على حـين أقـوم أنا بحركة التفاف (ويدور حتى يجىء خلف تيلتيل ويهجم على ظهره ويكاد يطرحه أرضا) ٠

هـو : يا خائن ! (ينهض معتمـدا على ركبـة واحـدة ملوّحا بالسكين ، حاميا أختـه قـدر طاقته وهى تولول من الفزع وحين يتبيّن للأشجار والحيوان

انه يوشك أن يقع على الأرض تقترب جميعها منه تحاول كل منها أن تصيبه بضربة ، يخيّم الظلام فجأة ، تيلتيل يستنجد باضطراب) النجدة النجدة تيلو ، تيلو ، تيلو ، أين الهرّة ؟ تيلو ، تيلو ، تيلو . اسرع الىّ انت والهرّة .

الهرة : لا أستطيع فقد التوت قومى .

هـو : (يتحاشى الضربات ويدافع عن نفسه قدر جهده) النجدة النجدة ، لقد خارت قواى ، انهم أكثر منى عددا : الدبّ والخنزير والذئب والحمار وشجرة الصنوبر وشجرة الزان .

(يجرر تيلو حباله المتقطعة بعد أن وثب من وراء جذع شجرة السنديان ويشق طريقه مزاحما الشجر والحيوان حتى يلقى بنفسه أمام تيلتيل ويدافع عنه بضراوة) .

الكلب : (وهو ينهش بقوة يمينا ويسارا) لبيك لبيك يا مولاى الصغير لا تخف ، ان فكى جبّار ، خُذْ ، هذه لك أيها الدب ، فى عجيزتك الضخمة ، أين من يريد منكم مثلها ؟ وهذه للخنزير وهذه للحصان ، وهذه لذيل الثور ، تمام تمام ، هأنذا قد مزّقت سروال شجرة الحور وازار شجرة السنديان أما شجرة القسطل فقد هربت ، أف أفْ ، الدنيا حَرّ ..

هـو : (متضعضعا) خارت قوتى منذ ناولتنى شجرة السرو ضربة شديدة على نافوخى •

الكلب : انهـا ضربة من شجرة السرو وقـد كسرتْ أيضا قدمى •

هـو : ها هم يعودون للهجوم ، كلهم معا ، قـد جاء دور الذئب هذه المرة •

الكلب : انتظر ، سترى كيف أعالجه بهجومى عليه •

الذئب : أيها الغبى ، بيننا أخوّة فأنت من سلالتنا ، أنسيت أن أهله أبوا تربية صغارك فأغرقوها •

الكلب : وحسنا فعلوا فقد كانت تشبهك •

كل الأشجار وكل الحيوانات أيها العاقّ لجنسك ، أيها الخائن والغرّ الأبله ، انفض يدك منه ، ألا ترى أن الموت محيق به ، انضمّ الينا •

الكلب : (فى نشـوة من الحبّ والاخلاص) كلا كلا ، سأقف وحيدا ضدكم جميعا كلا كلا ، سأظل وفيا لمن ينتمى لهم مولاى ، انهم أفضل منكم وأجلّ قدرا ، (لتيلتيل) احترس ، هذا هو الدبّ ، خذ بالك من الثور ، سأثب الى حَلْقه ، أىْ أىْ ، هذه رفسة من حافر ، لقد هشّم الحمار سنين من فكىّ •

هـو : هدّنى الاعياء ، تيلو ، أىْ أىْ ، هذه ضربة من شجرة الدردار ، انظر الى يدى يسيل منها الدم ، انه الذئب أو الخنزير •

الكلب : سلامتك يا مولاى الصغير ، دعنى أقبلك ، هـذه هى لعقة طيبة من لسانى ستريحك ، قف ورائى ولا تتحوّل، فلن يجرأ أحد منهم على مهاجمتك•• بل • نعم • نعم سيجرأون ، فهاهم قـد عادوا • الخطر كبير هذه المرة فلنصمد لهم ••

هـو : (يتهـاوى الى الأرض) لم تبق لى قـدرة على المقاومة •

الكلب : أصدقاؤنا قادمون ، تنبئنى بهم أذنى وأنفى •

هـو : مِن أين ؟ ومَنْ يكون القادم ؟

الكلب : من هناك ، انها بسمة النـور ، لقـد اهتـدت الى مكاننا ، قد نجونا يا مولاى ، يا مليكى الصغير ، قبّلنى ، نجونا ، نجونا ، انظر الى أعدائنا ، انهم يتوجسون شرّا ويتفرقون مرتعبين •

هـو : يا بسمة النور ، يا بسمة النور ، اقدمى واسرعى، لقد ثارت ضـدنا الأشـجار والحيـوانات وتألبت علينـا •

(تدخل بسمة النور وكلما تقدمت يتوالى اشراق الفجر على الغابة حتى يعمها الضياء) •

بسمة النور : ما الخبر وماذا جرى ، كيف غلبك الضلال يا مسكين . أدر الماسة فانها ستعيدهم الى عالم الصمت والظلام ولن تتجلى لك بعد سريرتها .

(يدير تيلتيل الماسة فتهرع كل سريرة الى جذع شجرتها وتدخله فينطبق عليها وتختفى أيضا سرائر الحيوان ويرى من بعيد بقرة وشاة ترعيان العشب فى سلام الخ الخ . وتستعيد الغابة براءتها) .

هـو : (يتلفت حوله من فرط دهشته) أين هم ، ماذا كان قد جرى لهم ؟ هل كانوا جميعا قد أصيبوا بالجنون ؟

بسمة النور : كلا ، هذه هى حقيقتهم دائما ، ولكننا لا نعلمها لأننا لا نراها ، وقد حذرتك من قبل من خطر ايقاظها فى غيبتى .

هـو : على كل حال لولا الكلب ، ولولا أن كان عندى سكين .. لم أكن أتصور من قبل انهم على مثل هذه الشراسة .

بسمة النور : ها أنت ذا ترى أن الانسان يقف وحيدا ضد الجميع في هذه الدنيا .

الكلب : (لتيلتيل) عسى أن لا يكون قد نالك أذى كبير يا مولاى .

تيلتيل : مسألة بسيطـة ، أما عن ميتيل فقـد عجزوا عن لمسها ، ولكن انت يا عزيزى تيلو ، حدّثنى عن نفسـك ، قـد سـال الدم على فكك وانكسرت قـدمك .

الكلب : اصابة هيّنة لا تستحق الذكر ، من غـدٍ سيلتئم الجرح وينجبر الكسر ولكن كم كانت حاميـةً هذه المعركة !

الهرة : (خارجة من غيل وهى تعرج) معركة حاميـة ولا ريب ، فقد طعننى العجل بقرنه فى بطنى ، لا ترى العين أثر الطعنة ولكنها تؤلمنى ، أشـدّ الألم ، وشجرة السنديان كسرت قدمى ..

الكلب : أحبّ أن أعرف أى قدمٍ هى ؟

ميتيـل : (تربّت على الهـرة) تيليت يا مسكينة ، أحقـا ما تقولين ؟ اذن أين كنتِ فانى لم ألمحك .

الهرة : (منافقة) أميمتى ، قد جرحت من فورى حـين هـاجمنى الخنزير القـذر الذى أراد التهامـك فناولتنى حينئذ شجرة السنديان ضربة دوّختنى .

الكلب : (وهو يهمس بالكلام من بين أسـنانه المطبقـة) انت ! فليكن فى علمك انه سـيكون بينى وبينك

حساب ، ولن يفيدك الانتظار شيئا ، فجزاؤك لن يتغيّر •

ميتيـــل : (للكلب) دعها فى حالها يا لعين •

(يخرج الجميع) •

« ســـتار »

الفصل الرابع

المنظر السادس – أمام الستار

(يدخل تيلتيل وبسمة النور والكلب والهرة والرغيف والنار وقمع السكر والماء واللبن) .

بسمة النور : تلقيت رسالة عاجلة من الجنية غرباوية تخبرنى فيها أن الطائر الأزرق موجود هنا فى أغلب الاحتمال .

تيلتيل : فى أى مكان هنا ؟

بسمة النور : هنا ، فى المقبرة التى وراء هذا الجدار ، يبدو أن أحد الموتى فى هذه المقبرة يخفيه فى قبره ، يبقى علينا أن نعرف أيّهم هو ، لذلك ينبغى المرور بالموتى واحدا واحدا .

هو : واحدا واحدا ؟ وكيف نفعل ؟

بسمة النور : المسألة بسيطة ، ننتظر منتصف الليل ، لئلا نفرط فى ازعاجهم ، ثم تدير أنت الماسة فاذا بهم يخرجون من الأرض ، وأما الذين لا يخرجون فسنطلّ عليهم فى قبورهم .

هـو : ألن يحنقهم عملنا هـذا ؟

بسمة النور : لن يحنقهم ، بل لن يتبينوا أن خروجهم بارادتنا، حقا انهم لا يحبون أن يقلقهم أحد ، ولكن من عادتهـم على كل حال أن يخرجـوا فى منتصف الليل فلا ازعاجَ لهم .

هـو : لمـاذا شحب لون الرغيف وقمـع السكر واللبن ولمـاذا خرس لسانهم ؟

اللبن : (وهو يترنح) أحسّ أننى سأصاب بالخثورة .

بسمة النور : (تهمس لتيلتيل) لا تشغل بالك بهمومهم ، فما بهم الا الخوف من الموتى .

النـار : (تطوف بخطى لاهية) أما أنا فلست خائفة ، فقد ألفتُ أن أحرقهـم ، كنت أحرقهـم جميعا فى المـاضى فكانت لى متعة لا أجدها أيامنا هذه .

هـو : ولمـاذا يرتجف تيلو ؟ هل هو خائف أيضا ؟

الكلب : (وأسـنانه تصطك) أنا ؟ اننى لا أرتعش ، أنا لا أخـاف أبدا ، ولـكن ان تركتم هـذا المكان فسأتركه معكم .

هـو : وما للهرة لا تنبس بكلمة .

الكلب : (فى غموض) ليس علمى علمكم .

هـو : (لبسمة النور) هل ستأتين معنا ؟

بسمة النور : كلا ، فمن الأفضل أن أبقى عند باب المقبرة مع الأشياء والحيوان ، لم يأت وقتي بعد ، فربة النور غير قادرة للآن أن تنفذ الى دور الموتى ، سأتركك وحدك مع ميتيل .

هـو : هل يمكن اذن لتيلو أن يبقى معنا ؟

الكلب : نعم ، نعم . سأبقى هنا ، أحبّ أن أبقى مع مولاى الصغير .

بسمة النور : هذا مستحيل ، ان أوامر الجنية صريحة ، ومع ذلك فليس هناك شيء يخشى منه عليكما .

الكلب : طيب طيب ، ما باليد حيلة ، اذا وجدتهم أشرار يا مولاى الصغير فما عليك الا أن تفعل هكذا (يصفّر) وسترى ، سأسعفك كماأسعفتك فى الغابة (ينبح وا وا وا) .

بسمة النور : هيّا بنا ، وداعا يا صغيريّ العزيزين ، لن أكون بعيدة عنكما ، (تعانق الصبيين) ان الذين يحبوننى والذين أحبهم سيجدوننى دائما (للأشياء والحيوان) أما أنتم فمن هنا .

(تخرج مع الأشياء والحيوان ويبقى الصبيان وحدهما وسط المسرح فتنفتح الستار على المنظر السابع) .

المنظر السابع – المقبرة

(بالليل فى نور القمر ، مقبرة ريفيـــة ، قبور عديدة ، ربى مخضرة ، صـــلبان من الخشب ، كسوة مقابر من الرخام الخ الخ)
(تيلتيل وميتيل واقفان بالقرب من نصب على هيئة عمود مستقيم) .

هـى : انى خائفة .

هـو : (باطمئنان مزعزع) أما أنا فلا أخاف أبدا .

هـى : هل الموتى أشرار ؟ قل لى ؟

هـو : كلا ، كيف يكونون أشرارا وهم غير أحياء ؟

هـى : هل رأيت من قبل واحدا منهم ؟

هـو : نعم ، مرة واحدة ، منذ زمن بعيد ، أيام أن كنت صغيرا جدا .

هـى : كيف هو ؟ قل لى ..

هـو : شخص كُله بياض ، هادىء جدا ، بارد جدا ، ولا يتكلم .

هـى : هل سنراهم ؟ قل لى ..

هـو : ولا ريب ، فهذا هو ما وعدتنا به بسمة النور .

هـى : أين مكانهم هؤلاء الموتى ؟

هـو : هنا تحت العشب أو تحت هذه الأحجار الثقيلة .

هي : أهذا هو مكانهم على مدار العام ؟

هو : نعم .

هي : (مشيرة الى الأحجار فوق المقابر) أهذه أبواب بيوتهم ؟

هو : نعم .

هي : أيكون خروجهم حين يرقّ الهواء ؟

هو : انهم غير قادرين على الخروج الا بالليل ..

هي : ولماذا ؟

هو : لأنهم لا يرتدون الا القمصان .

هي : وهل يخرجون أيضا فى المطر ؟

هو : اذا أمطرت السماء لزموا بيوتهم .

هي : هل بيوتهم جميلة ؟ قلْ لى ..

هو : يقولون انها ضيقة جدا .

هي : هل معهم أولاد صغار ؟

هو : طبعا ، معهم كل من يموت .

هي : وما هو غذاؤهم ؟

هو : انهم يأكلون جذوع الأشجار .

هي : وهل ستراهم ؟

هو : لا ريب ، فان ادارة المأساة ستجعل كل شيء ينكشف لعيوننا .

هـي : وماذا سيقولون ؟

هـو : لن يقولوا شيئا لأنهم لا يتكلمون .

هـي : ولماذا لا يتكلمون ؟

هـو : لأنه ليس لديهم شيء يقال .

هـي : ولماذا ليس لديهم شيء يقال ؟

هـو : وجدت لي دماغي (فترة صمت) .

هـي : متى تدير الماسة ؟

هـو : بسمة النور أوصتنا بانتظار منتصف الليل . هذه ساعة لا يزعجهم الخروج فيها الا قليلا .

هـي : ولماذا يقلّ انزعاجهم عند الخروج في هذه الساعة ؟

هـو : لأنها ساعة الخروج لتنسم الهواء .

هـي : هل حلّ نصف الليل ؟

هـو : ألا ترين ساعة الكنيسة ؟

هـي : نعم ، بل أرى العقرب الصغير .

هـو : اذن ترين انها على وشك أن تدق اثنتي عشرة مرة ، ها هي تدق ، أسمعت ؟

(تسمع الدقات الاثنتا عشرة) .

هـي : أريد أن أعود .

هو : لم تحن العودة بعد ، وسأدير الماسة .

هي : كلا كلا ، لا تفعل ، أريد أن أعود ، انني خائفة يا أخي . انى مرتعبة جدا .

هو : ولكن ما من خطر علينا .

هي : لا أريد أن أرى الموتى ، لا أريد أن أراهم .

هو : لك ما تريدين ، اقفلى عينيك فلا ترينهم .

هي : تتشبث بثيابه) تيلتيل ، لا أستطيع ، مستحيل ، انهم سيخرجون من تحت الأرض .

هو : لا ترتجفى هكذا ، انهم لن يخرجوا الا لبرهة وجيزة .

هي : ولكنك أنت أيضا ترتجف . هل سيكون منظرهم مرعبا ؟

هو : أزف الوقت ، فقد أصبحنا فى منتصف الليل (يدير تيلتيل الماسة ، لحظة مرعبة من الصمت والهمود ثم يحدث ببطء ترنح الصلبان وانشقاق الأرض فى الربوة المخضرة وارتفاع الحجارة عن القبور) .

هي : (وهى تحتمى بحضن أخيها) انهم يخرجون ، ها هم أمامنا .

(حينئذ ينبعث شيئا فشيئا من القبور
المفتوحة لفيف زهور نابتة ، هى أول الأمر
رقيقة متهيبة ، انها كسحابة من البخار ،
ثم تتحول الى بياض كوشاح البكر ، ويزداد
درجة بعد درجة التفافهـا وعلوها وفيضها
وبهاؤها وتجلل شيئا فشيئا وبسلطان لا يقاوم
كل الأشياء فتحيل المقبرة الى حديقة ملائكية
توحى بالطهارة ، ثم لا يلبث الفجر أن يزف
اليها أول ضيائه فيتلألأ الندى ، تتفتـح
الأشجار والأزهار ، يوسـوس النسيم بين
أوراق الغصون ، يطن النحـل ، تستيقظ
الطيور فتملأ ببواكير نشوتها أرجاء الكون
بأناشيد فرحها بالشمس والحياة ، تيلتيل
وميتيل تتملكهما الدهشة والاعجاب ، يده
تمسك يدها ، وينقلان الخطى بين الزهور
بحثا عن آثار القبور) .

هـى : (وهى تبحث فى العشب) أين هم هؤلاء الموتى ؟

هـو : (يبحث مثلها) ليس هناك موتى .

« ستار »

المنظر الثامن
أمام ستار يمثل سحبا جميلة

(يدخل تيلتيل وميتيل وبسمة النـــور والكلب والهرة والرغيف والنار وقمع السكر والمـاء واللبن) .

بسمة النور : فى اعتقادى أن يدنا ستقع هـذه المرة على الطائر الأزرق وكان ينبغى أن أدرك هــذا منـذ أول مرحلة فى رحلتنا ولكن لم يحـدث الا فى هـذا الصباح حين جدد الفجر قواى أن أشرق هــذا الادراك على ذهنى اشراق شعاع من السماء ، نحن الآن عند مدخل الفردوس المسحور حيث يجتمع فى حراسة القدر كل ما يعرفه الانسان من شخوص البهجة والهناء .

تيلتيل : وهل هناك كثير منهم ، أيكون لنـا منهم نصيب أبينهم صغار مثلنا أيضا ؟

بسمة النور : فيهم الكبير والصغير ، والجلف والرقيق ، فيهـم من له أكبر حظ من الجمال وفيهم من هو أقل لطفا ، أما أسوأهم طبعا فقد سبق طردهم من هذا الفردوس فوجدوا ملجأ لهم فى ديار شـخوص البؤس اذ ينبغى أن لا يغيب عنـكم ان شـخوص

البؤس يقيمون فى مسكن مجاور نافذ على فردوس الهناء ، لا يفصل بينهما الا حاجز كأنه البخـار أو كأنه ستار خفيف ينزاح كلما هبت عليه رياح من علياء العدالة أو من قاع الأبد ، يحسن بنا أن نعمل بنظام وأن نتخذ بعض تدابير الحيطة ، فشخوص الهناء هم فى العادة خيّرون الا أن منهم من هو أشدّ من شخوص البؤس خطرا وخداعا

الرغيف : عندى فكرة ، ما دام شخوص الهناء لهم مثل هذا الخطر والخداع أفليس من الأفضل أن نبقى جميعا عند الباب حتى نحمى الصبيين بسواعدنا اذا اضطرا للفرار بعد دخولهما ؟

الكلب : كلا كلا ، أريد أن أكون مع مولاى ومولاتى أينما يذهبان فليبق بالباب كل من يرتجف قلبه من الرعب ، فليس لنا حاجة اليه (ينظر الى الرغيف) ولا الى الجبناء (ينظر الى الهرة) ولا الى الخائنين .

النار : أما أنا فذاهبة معهما ، يقال ان فى غشيان هذا الفردوس متعة كبيرة وأن أهلها لا ينقطعون عن الرقص .

الرغيف : وعن الأكل أيضا ؟

الماء : (تتنهد) لم يدخل حياتى قط هناء ولو صغير وأود أن أعرفه اليوم .

بسمة النور : اعقدوا ألسنتكم ، لم يسألكم أحدُ رأيكم ، اليكم قرارى ، الكلب والرغيف وقمع السكر يصحبون الصبيين ، والماء لا تدخل لأنها شديدة البرودة ، ولا النار لأنها مفرطة في الاضطراب ، وأناشد اللبن أن يلزم الباب لأنه سريع التأثر ، أما الهرة فهى حرّة .

الكلب : انها خائفة .

الهرة : اذن سأنصرف فأسلم فى طريقى على بعض شخوص البؤس فبيني وبينهم صداقة قديمة ، فهم يسكنون بجوار شخوص الهناء .

هو : وأنتِ يا بسمة النور ، ألا تأتين معنا ؟

بسمة النور : لا أستطيع أن أدخل كما أنا على شخوص الهناء فان أكثرهم لا يحتملوننى ، ولكن لدىّ الوشاح الغليظ الذى أتغطى به اذا زرت السعداء ، (تفرد وشاحا كبيرا تلفّه حولها باحكام) ينبغى أن لا يزعجهم شعاع من نورى ، اذ أن من شخوص الهناء من يعيش فى وجل محروما من السعادة أما اذا دخلت هكذا فلن يخشانى أحد حتى أقلهم جمالا وأقلهم لطفا .

(ينفتح الستار على المنظر التاسع) .

المنظر التاسع

فردوس الحياة الدنيـــا

(ينفتح الستار عن ردهة مقامة فى مدخل الفردوس . ترسمها أعمدة عالية من المرمر، تتدلى بينها أستار من المخمل الثقيل الأرجوانى، تعقدها حبال ذهبية ، بحيث تحجب غيابة المنظر، طراز البناء يوحى بذروة ما بلغه يوما عصر النهضة فى البندقية والأراضى الواطئة من استغراق فى الملذات الحســية والترف كما تشهد به لوحات الرســـام فيرونيزى وروبانز ، أكاليل وتمائم وجدائل وزهريات وتماثيل وزينة ذهبية منثورة بسخاء ، فى وسط الردهــة مائدة ثقيلة فخمة من حجر الشب المزخرف بالفسيفساء ، تزدحم عليها شمعدانات وأكواب من البللور وآنيــة من الذهب والفضة ، تفيض بأطعمـــة فاخرة ، يجلس حـــول المـائدة شخوص الترف فى الأرض وهم يأكلون ويشربون ويندفعون فى الهتاف والغناء ، فيهم المترنح وهو وسنان ، وفيهـــم المستغرق فى النوم ، وبين أكداس من لحـــم الوعل وفاكهـــة مهولة انقلبت الأباريق والأكواب على المـائدة ، كل واحد منهم مفرط فى البـــدانة ، محتقن الوجه ، فى ملابس من القطيفـــة ، على الرأس تاج محلى بالذهب واللؤلؤ والأحجـار الكريمة ، قيان فاتنات لا تنفك عن السعى بأطبـــاق مزينة وشراب مشعشع ، وموسيقى تنم عن

ذوق فج ماجن يحب الصخب يغلب فيهنا عزف الآلات النحاسية • المسرح غارق فى ضوء أحمر ثقيل •

تيلتيل وميتيل والرغيف وقمع السكر يغلبهم شىء من الدهشة والانبهار أول الأمر ثم يتحلقون على اليمين فى مقدمة المسرح حول بسمةالنور،وتمضى الهرةدون أن تنبس بكلمة الى غيابة المسرح ، من الناحية اليمنى أيضا ــ وترفع ستارة قاتمة اللون وتختفى) •

هــو : من هــم هؤلاء السادة الضخام الذين يلهــون ويلتهمون كل هذه الأطعمة الشهية ؟

بسمة النور : انهم شخوص الترف فى الأرض ، ممن تراهم العيون ، ومن الجائز ــ وان كان الاحتمال ضئيلا ــ أن يكون الطائر الأزرق قد شرد فتريث عندهم قليلا ، لذلك لا تتعجل ادارة الماسة ، وعلينا الآن دفعا لوهم التقصير أن نستكشف هذا الجانب من الردهة •

هــو : وهل نستطيع الاقتراب منهم ؟

بسمة النور : نعم ولا ريب ، فهم غير أشرار وان كان فيهم من هو جلف ، ومن هو سىء الأدب •

هــى : عندهم فطائر لذيذة •

الكلب : ولحم صيد طري ومقدد ، وأوناد خراف وأكباد عجول ، هذا أطيب طعام في الدنيا ، لا يفضله طعام آخر ، فلا شيء يفضل أو يماثل كبد العجل •

الرغيف : الآن الخبز المصنوع من خالص دقيق القمح ، عندهم أفخر صنف منه ما أجمل أرغفتهم ! ما أجمل أرغفتهم ، انها أضخم مني •

قمع السكر : عفوا عفوا ومائة مرة عفوا ! اسمحوا لي ، اسمحوا •• لا أريد أن أجرح شعور أحد ولكن أنسيتم أن الحلوى هي مجد هذه المائدة فلها من الرواء البديع ما يفوق ـ ان جاز لي هذا التعبير ـ كل شيء لا في هذه الردهة وحدها بل ربما في أي مكان آخر •

هو : يا لسمة الرضى والسعادة البادية عليكم ، لا يكف لهم هتاف وضحك وغناء ، أظن أنهم قد رأونا •

(ويقوم فعلا من المائدة نفر من شخوص الترف ويخطون بصعوبة مسندين أكراشهم بالأكف ، ويتقدمون نحو تيلتيل وصحبته)

بسمة النور : (لتيلتيل) لا تخش شيئا ، انهم أهل حفاوة وكرم ضيافة وأظن أنهم سيدعونك للعشاء معهم فلا تقبل دعوة ولا طعاما ، لئلا تنسى مهمتك •

هـــو : ماذا ؟ حتى ولا فطيرة واحدة صغيرة؟ ان فطائرهم تبدو شهية طازجة مُسكَّرة ، محشوة بالفاكهة ، عامرة بالقشدة .

بسمة النور : ان عواقبها وخيمة فهى ستحطم ارادتك وينبغى أن تعرف كيف تضحى ببعض الأشـــياء فى سبيل أداء الواجب . فارفض بأدب ، ولـكن بحـزم ، ها هم قادمون .

(زعيم الترف يمد يديه الى تيلتيل) .

زعيم الترف : مرحبا بك يا تيلتيل ، أهلا وسهلا .

هـــو : (بدهشة) أتعرفنى اذن ؟ مَنْ أنت ؟

زعيم الترف : أنا زعيم الترف ، أنا الثراء ، اننى قادم نيابة عن اخوتى أدعوك أنت وصحبك لتشريف مأدبتنا التي لا انقضاء لها ، وستجد نفسك بين من هم أفضـل وأصـدق شـخوص الترف فى هـذه الأرض ، واسمح لى أن أقدم لك أهمّهم ، هذا هو صهرى ترف الحيازة والتملك ، وبطنه على هيئة الكمثرى، وهـذا هو ترف الغرور والاكتفـاء بالنفس ، انه يزهو بأوداجه المنتفخة ، وهـذا هو ترف الشرب حـين لا عطش ، وهـذا هو ترف الأكل حـين لا جـوع وهمـا توأمان وأقدامهما من عيـدان

المكرونة ، (يقومان بتحية تيلتيل وهما يترنحان)
وهذا هو ترف الاستغناء عن كل علم ، وهو أصمّ
كالصخر ، وهذا هو ترف الاستغناء عن كل فهم ،
وهو أعمى كجرذ الجحور ، وهذا هو ترف الترفع
عن كل عمل ، وهذا هو ترف الاسترسال فى النوم
بعد الشبع منه ، ولهما أيد من لباب الخبز وعيون
من مُربّى الخوخ ، وهذا هو ترف الضحك
الغليظ ، ان فمه مشقوق حتى الأذنين ، ولا أحد
يقاوم عدواه .

(يقوم بتحية تيلتيل وبدنه يرتج ويتلوى
من الضحك) .

هو : (يشير الى ترف آخر منتح جانبا) ومَنْ هذا
الذى لا يجرأ على التقدم ويدير لنا ظهره ؟

زعيم الترف : لا تلح فى السؤال ، انه فى خجل ، اذ لا يليق
تقديمه للصغار (يمسك يد تيلتيل) ولكن تعال
اذن ، سنبدأ المأدبة من جديد ، لقد تكرّرت
عشرين مرة منذ الفجر ، ولسنا فى انتظار أحد
غيرك ، هل تسمع كل الضيوف يهتفون بدعوتك،
لا أستطيع أن أقدمهم لك جميعا فهم عديدون ،
(يمنح ذراعيه للصبيين) اسمحا لى أن أقودكما
الى مقعدى الشرف .

هـو : شكرا سيّدى زعيم الترف ، يؤسفنى أشدّ الأسف اننى غير قادر فى هذه اللحظة أن ألبّى دعوتكم ، اننا فى عجلة ، فنحن نبحث عن الطائر الأزرق . فلعلك تعرف صُدفة أين هو ؟

زعيم الترف : الطائر الأزرق ؟ انتظر اذن ، نعم . نعم . أتذكّر الآن ، لقد سمعتُ عنه من قبل ، انه فيما أظن طائر لا يؤكل ، على كل حال انه لم يَمثُل فوق مائدتنا ، ولكن لا تجهد نفسك ، فلدينا أشياء أخرى أفضل منه ، فتعال لتشاركنا حياتنا وتشهد كل ما نفعل .

هـو : وماذا تفعلون ؟

زعيم الترف : كل فعالنا أن لا نفعل شيئا ، فنحن لا نرتاح ولو دقيقة ، اذ ينبغى أن نأكل وأن نشرب وأن ننام ، وكل هذا يستنفد وقتنا كله .

هـو : وهل فى ذلك متعة ؟

زعيم الترف : من كل بُدّ ، فليس فى الأرض متعة سواها .

بسمة النور : أهذا هو اعتقادك ؟

زعيم الترف : (يهمس الى تيلتيل مشيرا الى بسمة النور) مَن تكون هذه الشابة السيئة الأدب ؟

(وأثناء الحوار السابق تختفى شخوص
ثانوية من الترف بالكلب وقمع السكر
والرغيف ويقودونهم الى المأدبة الصاخبة
وفجأة يلحظ تيلتيل صحبه وقد جلسوا
على المائدة فى اخاء مع بقية الضيوف ،
يأكلون ويشربون ويترنحون) .

هو : (لبسمة النور) أنظرى ! انهم على المائدة .

بسمة النور : نادهم والا كانت العاقبة وخيمة .

هو : تيلو ! تيلو ! تعال هنا ، تعال هنا حالا ، سامع ؟ وأنت يا قمع السكر ، وأنت يا رغيف من سمح لكما بالابتعاد عنى ، ماذا تفعلان هناك بغير اذن منى .

الرغيف : (وفمه محشو) ألا تستطيع ماداتنا بلهجة أكثر أدبا .

هو : يا للعجب ! منذ متى تعلمت هذه الجرأة علىّ ؟ ماذا دهاك ! وأنت يا تيلو . أهذه هى الطاعة عندك ؟ هيّا ، تعال هنا ، اركع اركع وبأسرع مما تفعل .

الكلب : (بصوت واطىء ومن طرف المائدة) أنا حين آكل لا أجيب أحدا ولا أسمع شيئا .

قمع السكر : (بلهجة معسولة) اعذرنا ، اننا لا نستطيع أن

تخذل أصحاب بيت لهم مثل هذا الظرف .

حلمك حلمك ، انهم يضربون لك المثل ،
فالضيوف ينتظرونك ونحن لا نقبل الاعتذار ،
سنرغمك بلطف على الجلوس ، هيا يا شخوص
الترف ، ساعدوني ، ادفعوه دفعا الى المائدة حتى
ينعم بالسعادة رغم أنفه .

(تتقدم شخوص الترف وهى تترنح
وتتماسك قدر جهدها وتهلل فى فرح وتجذب
الصبيين وهما يقاومان ، بينما يلف ترف
الضحك الغليظ ذراعه على خصر بسمة النور)

بسمة النور : (الى تيلتيل) أدر الماسة فقد آن الأوان .

(تيلتيل يستجيب لها ، ما يكاد يدير
الماسة حتى يغمر المنظر ضياء لا وصف
ولا حد لنقائه ، كأنما تعكس عليه الملائكة
لون أجنحتها الوردية ، صاف رقراق ،
تنفك وتختفى عن مقدمة المنظر زخارفه
الثقيلة وأستاره الصفيقة الأرجوانية ،
فتتكشف عن حديقة ناعمة كأنها من عالم
الخرافة ، تسودها دعة وسكينة ، هى أشبه
شيء بصرح أقامته مملكة النبات ، ترتاح
العين لانسجام خطوطه وأبعاده ، انها حديقة
ثرية بأغصان فتية يترقرق عليها الضياء ،
ملتفة ومتشابكة بلا فوضى ، الزهور سكرى
بطهارتها ، ومياه صافية تنطق بالجذل
وهى تصب وتسيل وتصطفق فى جداول

جارية ، كأنما تمد رحاب الهنــاء الى حدود الأفق ، تنهد مائدة العربدة ولا يبقى لهــا أثر ، ســتائر المخمل والحرير وتيجــان شخوص الترف ما تكاد تتلقى اوائل أنفاس هذا الضياء المشعشع الذى يغمر المنظر حتى ترتفع وتتمزق وتتهاوى ، وكذلك الأقنعة الضاحكة الملقــاة تحت أقدام الضيوف وقد عرتهم الدهشة ، وينشفط انتفاخ شخوص الترف تباعا على مرأى العين انشفاط مثانة انفجرت، يتبادلون النظرات وأجفانهم تطرف من اثر هذا الضياء المجهول الذى تعشى له أبصارهم ، وحينما تنجلى لهم حقيقتهم ويرون انفسهم شخوصا دميمــة ، رخوة ، زرية تنبعث منهم صيحــات الخجل والوجل ، تتبين الأذن بوضوح من بينها صيحة ترف الضحك الغليظ بسبب علوها على صيحات الآخرين ، وترف الاستغناء عن كل فهم يظل ساكنــا كل السكون ، على حين يضطرب زملاؤه وقد أحسوا بالضياع ، يتلمســون وسائل الهرب بالاختفاء فى الأركان للتستر بعتمتها فيما يأملون ، ولكن سناء الحديقــة الرائعة لم يترك بهــا أثرا لظل ، فيعمد بعضهم فى يأسهم من النجاة الى اقتحام تذير الستارة الماثلة فى ركن على اليمين ، المنعقدة فوقها سقيفة باب كهف شخوص البؤس ، وكلما هم كل واحــد منهم فى رعب بازاحة الستارة قليلا انبعث من أغوار الكهف سيل من السباب واللعنات والشتائم ، أما الكلب والرغيف وقمع السكر فقد تخاذلوا وتدلت آذانهم وانضموا الى صحبة الصبيين واختبأوا فى خجل وراءهما) .

تيلتيل : (وهو يرقب فـرار شـخوص الترف) ما أبشع دمامتهم • الى أين فرارهم ؟

بسمة النور : جـُنّ جنونهم ولا ريب ، انهم يلجأون الى شخوص البؤس وأخشى أن يحتجزوهم عندهم الى الأبد•

هـو : (يتلفت حوله مسحورا بما يرى) ما أجملها من حديقة ، ما أجملها من حديقة ، ولكن أين نحن؟

بسمة النور : لم يتبدل مكاننا ، انما التبـدّل فى نظرة العيـون ، نحن الآن نشهد حقيقة الأشياء ، سترى شخوص الهناء التى تتحمل سناء المـاسة •

هـو : ما أبهى هذا المنظر وما ألطف هذا الهواء ، يخيل الىّ أننا فى اعتدال الربيع ، ما الذى أرى ؟ من القادمون علينا من هناك ، لعلّهم سيعنون بأمرنا •

(وتبدأ الحديقة فعلا بالامتلاء بشخوص ملائكية كأنما انفلتت من سـبات طويل وتجوس بانسجام خلال الأشجار ، عليهـا ملابس يشع منهاضوء له أطياف ترتاح العين لتناسقهـا وبهائهـا ، تتفتح الزهور فى الحديقة ، ويفتر ثغر الجـداول ، ويشرق سناء فجر وليد ، ويتلألأ الندى) •

بسمة النور : ها هى فئة من شخوص الهناء قادمة الينـا ، يدفعهم حبّ التطلع ، ولكنهم أهل ظرف وسماحة ، سنعلم منهم الخبر •

هـو : وهل تعرفينهم ؟

بسمة النور : نعم ، أعرفهم جميعا فانى ألم بهم مرارا دون أن يدركوا من أنا .

هـو : ما أكثرهم ، ما أكثرهم ، انهم قادمون من كل صوب .

بسمة النور : كانوا أكثر عددا من قبل ، فقد أضر بهم شخوص الترف .

هـو : لا ضير عليهم فقد بقى منهم عدد ليس بالقليل .

بسمة النور : وسترى كثيرا غيرهم كلما طاف ضياء الماسة بالحديقة ، فان شخوص الهناء فى الأرض أكثر مما تظن ، ولكن أغلب الناس لا ينتبه اليهم .

هـو : ها هم صغارهم يتقدمون الينا ، فلنجر للقائهم .

بسمة النور : لا تتعب نفسك ، فكل من يعنينا أمره سيمر من هنا ولا يتسع وقتنا لمعرفة الآخرين .

(صغار شخوص الهناء تثوثب وتتضاحك بملء الأفواه ، تقدم من مؤخرة الحديقة وترقص متحلقة حول الصبيين) .

هـو : ما أوسمهم ، ما أوسمهم ، من أين أتوا ؟ ومَنْ هم ؟

بسمة النور : انهم شخوص هناء الأطفال .

هـو : هل لى أن أكلمهم ؟

بسمة النور : لا داعى للكلام فهم لا يعرفون الا الغناء والرقص والضحك ، أما الكلام فلم يتعلّموه بعد .

هـو : أهلا أهلا (الى بسمة النور) أنظرى الى هـذا الطفل السمين الضاحك ما أجمل خدودهم وما أبهى ملابسهم . أكلّهم أثرياء ؟

بسمة النور : كلا ، هنا كما فى كل مكان يزيد الفقراء على الأغنياء .

هـو : وأين الفقراء بينهم ؟

بسمة النور : لا تتبينهم العين لأن هناء الأطفال ملفوف فى أجمل كساء فى الأرض أو فى السماء .

هـو : (وهو لا يستقر فى مكانه) أريد أن أرقص معهم .

بسمة النور : هذا مستحيل ، فليس لدينا وقت ، انى أرى أن الطائر الأزرق ليس عندهم ، وهم فوق ذلك فى عجلة ، فأنت تراهم قد أخذوا فى الانصراف . وهم أيضا وقتهم قليل فلا يضيعونه هدرا ، فأمد الطفولة قصير .

(تهرع الى الحديقة فئة من شخوص الهناء أطول من السابقين ، يتعالى غناؤهم

وهم يهتفون : ها هم قد أتوا ، ها هم قد أتوا ، انهم يروننا ، ثم يرقصون بمرح حول الصبيين وعند نهاية الرقصة يتقدم من هو في الظن زعيم هذه الفئة الصغيرة نحو تيلتيل ويمد له يده) .

الهناء : أهلا بك يا تيلتيل .

هو : مرة أخرى أجد من يعرفني ، (الى بسمة النور) قد بدأت أن أكون معروفا لدى الجميع هنا ، (الى الهناء) مَنْ أنت ؟

الهناء : انت لا تعرفني ؟ أراهنك أنك لا تعرف أحدا منا هنا .

هو : (بلا حرج) فعلا ، لا أعرف أحدا ، فلا أذكر انني رأيتك من قبل .

الهناء : (لزملائه) أتسمعون ؟ كنت واثقا انه سيقول انه لم يرنا ، (تنفجر بقية شخوص الهناء بالضحك) ولكن يا عزيزي تيلتيل ، أنت لا تعرف أحدا غيرنا ، نحن دائما من حولك ، في صحبتك ، نأكل ونشرب ونصحو ونتنفس ونعيش .

هو : نعم . نعم أنت على حق ، أدركت الآن صدق ما تقوله ، فانني تذكرت ولكنني أود أن تنبئوني بأسمائكم .

الهنــاء : أرأيت أنك لا تدرك شيئا ، أنا هناء بيت الأسرة ، بيتك ، وزعيم كل هناء آخر يسكنه .

هــو : أفى البيت أشكال أخرى من الهناء ؟

(يفج شخوص الهناء بالضحك) .

الهنــاء : هل سمعتم ؟ يسأل أفى البيت هنـاء آخر ، البيت يا بنىّ مكتظ بأشكال من الهناء حتى تكاد تفيض من سـدود أبوابه ونوافـذه ، ونحن نزحمـه بالضحك والطرب والفرح حتى لتكاد الجدران تتراجع أمامنا وحتى يكاد السقف يطير ، ولكن مهما بذلنا من أنفسنا لك فأنت لا ترانا . أرجـو أن يرجع عقلك لرأسك قليلا من قادم ، والى أن يحدث لك هذا تعالَ صافح أعياننا حتى اذا رجعت لبيتك سهل عليك تبينهم ثم تعرف فى نهـاية يوم سـعيد كيف تشجعهـم بابتسامـة منك وتشكرهم بكلمة طيبة ، لأنهم يبذلون كل جهدهم من أجل أن تنعم بحياة حلوة خفيفة الحمل ، دعنى أقـدم لك نفسى أولا ، خـادمك المطيع : هنـاء التمتـع بالصحة والعافية ، ولعلّ جمالى لا يفوق جمالهـم بريقا ، ولكنى أهمّهم ، أتعرفنى الآن ؟ وها هو هناء التمتع بالهواء الطلق ، انه يكاد يكون شفافا ، وها هو هناء تمتع الولد بمحبته لأبويه ، ينمّ لون

ثوبه الرمادى عن حشمتــه ولا يسلم من حــزن طفيف لأن العيون قلما تأبه به ، وهذا هو هنــاء التمتع بالسماء الزرقاء ، ثوب أزرق بطبيعة الحال ، وهذا هو هناء التمتع بالغابة ، وثوبه أخضر بطبيعة الحال أيضا ، ستراهم جميعا اذا جلست الى النافذة ، وهذا هو هناء التمتــع باشراق الشمس ، له لون المــاس ، وهذا هو هناء التمتع بالربيع ، انه فى لون الزمرد وبه طيش .

هــو : هل لكم هذا الجمال كل يوم ؟

الهنــاء : أى نعم ، فكل الأيام يوم عيد فى كل البيوت ، اذا عرف أهلهــا كيف يفتحــون عيونهم ، ثم اذا حل المساء واتاك أصحابى هؤلاء ، دعنى أقدمهــم لك ، هذا هو هناء التمتع بالغروب ، وهو أبهى من كل ملوك الأرض ، ثم يتبعه هناء التمتع بطلوع النجوم وثيابه من ذهب كآلهة الأقدمين ، ثم اذا تكاثرت السحب واتاك صــاحبى هــذا ، انه هنــاء التمتع بالمطر وثوبه مطرز باللؤلؤ ، ومعه هنــاء التمتــع بمدفأة الشتاء الذى يســدل على الأيدى المتثلجة وشاحه القرمزى ، ولكنى لم أحدثك عن أفضلنا جميعــا لأنه يكاد يكون أخا شقيقا للنعــم الكبرى الصافية التى ستراها قريبا ، وأعنى به هناء

التمتع بفكر طاهر برىء،وهو أكثرنا نقاءً ، وها هو هناء آخر ، ولكن ما أكثر من احتـاج الى تقديمه اليك ، ولو فعلت لمـا انتهيت ، فينبغى لى أن أنبىء بمقدمكم النعم الكبرى المشرفة علينا هناك ، في آخر الحديقة ، بالقـرب من باب السماء ، فانهـا لا تعلم بعد أنكم قـد أتيتم ، سأبعث اليهم بهنـاء التمتع بالجرى على قطرات الندى بأقدام حافيـة ، فهو أخفّنا حركة (يخاطب الهناء الذى وقع عليه اختيـاره ، فيتقـدم مسرفا فى الترحيب بالحركة والتوثب ـ ويستطرد الهناء قائلا له) هيّا ، طِرْ الى حيث أرسلتك •

(يتقدم فى هذه اللحظة هناء آخر ، عار الا من ستر أسود على خاصرته ، يزاحم بقية شخوص الهنـــاء وهو يهمهم بكلمـات غير مفهومة ، ويقترب من تيلتيل وهو يتوثب ، فيعابثـــه بوضـــع كفه على الأنف وتلعيب أصابعه ، محـاولا صفعه أو ضربه بالقدم ، واذا هم تيلتيل بصده تملص منه) •

هـــو : (وقد غلبته الدهشة والحنق) من هذا المتوحّش ؟

الهنـــاء : أمرى لله ، لا مفرّ من أن أقدمه لك ، انه هنـاء العفرتة ، وقد هرب من كهف شخوص البؤس ، لا ندرى أين نحتجزه ، فانه يهرب من كل محبس ، بل ان شخوص البؤس ترفض ايواءه •

(يتمادى هناء العفرتة فى معاكسة تيلتيل
الذى يحاول عبثا صده عنه ، ثم اذا به ينفجر
فجأة بضحكة عالية وينصرف بلا دافع كما
أتى) .

هـــو : ماذا به ؟ هل أصابه مسّ من الجنون ؟

بسمة النور : لست أدرى ، والظاهر أن حالك يكون كحاله حين
تتحامق وتركب رأسـك ، ولكن بقى علينـا أن
نسأل عن الطائر الأزرق فلعلّ زعيم هناء البيت
لا يجهل مكانه .

هـــو : (يسأل الزعيم) أين الطائر الأزرق ؟

الهنـــاء : صاحبنا لا يعرف أين الطائر الأزرق .

(تضـج كل شـــخوص هنـــاء البيت
بالضحك) .

هـــو : (فى غضب) نعم ، لا أعرف أين هو ، وليس فى
هذا مدعاة للضحك .

(ضحكات أخرى) .

الهنـــاء : حلمك ، لا تغضب ، (ثم الى بقية شخوص الهناء)
دعونا الآن نتكلم بجدّ ، انه صادق فى قوله إنه
لا يعـرف أين الطـائر الأزرق . وما العجب فى
ذلك ؟ انه ليس بأقلّ غفلة عن بقية الناس ، ولكن
ها هو هناء التمتع بالجرى على قطرات الندى بأقدام

حافية قد نقل النبأ الى النعم الكبرى وها هى ذى تتقدم الينا .

هــو : ما أجملهن ، لماذا لا يضحكن . أهن غير سعيدات ؟

بسمة النور : لا يكون الضحك دائما دليلا على فرط السعادة .

تيلتيل : مَن هُنّ ؟

الهناء : هى النعمُ الكبرى .

هــو : أتعرف أسماءهن ؟

الهناء : أعرفها بطبيعة الحال ، فلطالما لعبت معهن ، ها هى ذى أولا وفى مقدمة الباقيات ، نعمة القدرة على العدل ، وهى تبتسم كلما رأت انتصارا على ظلم ، وأنا لصغر سنى لم أرها تبتسم بعد ، ومن ورائها نعمة طيبة القلب ، هى أكثرهن سعادة وان كانت أكثرهن أسى ، ونحن لا نحتجزها الا بمشقة عن مضيها لشخوص البؤس الذين تود أن تواسيهم ، وعن اليمين نعمة الراحة فى انجاز العمل ، بجانبها نعمة الفكر ، ثم نعمة الفهم ، وهى تبحث دائما عن شقيقها : ترف الاستغناء عن الفهم .

هــو : ولكنى رأيت شــقيقها ، انه ذهب الى شــخوص البؤس مع شخوص الترف .

الهنـاء : كنت واثقا من ذلك فانه أصبح ضالا أحمق من فرط معاشرته لقرناء السـوء ، فأصيبت طباعـه بالشذوذ ، ولكن حذار من أن تجىء سـيرته على لساننا أمام شقيقته والا مضت تبحث عنـه وفقـدنا بذلك وجود نعمة كبرى بيننا ، وهاهى ذى أيضا واحدة من النعم الكبرى ، انها نعمة رؤية الجمال أينما كان ، انهـا تضفى كل يوم مزيدا من بهـاء أشعتها على الضوء الذى يغمر هذا المكان .

هــو : ومَنْ هى المـاثلة هنـاك ، بعيـدا ، بين السحب الوردية ، لا أراها الا اذا شببت غاية جهدى على أصابع قدمىّ .

الهنـاء : هذه هى نعمة القدرة على الحبّ ، ولكن هيهـات لك أن تتبينها كل التبين فأنت ما زلت صغيرا .

هــو : ومَن هُنّ الواقفات الى الخلف ، يمنعهن التهيب عن التقدم الينا ، ولمـاذا وجوهن محجبة ؟

الهنـاء : هى النعم التى لم يعرفها الانسان بعد .

هــو : وماذا تدبّره الأخريات لنا ، وما لهن قد انشققن صفّين ؟

الهنــاء : لاستقبال نعمة أخرى قادمة ، لعلّها أكثر النعــم طهارة وصفاء .

هــو : ومَنْ تكون ؟

الهنــاء : ألم تتبين بعد ؟ فأنعم النظر اليهــا ، وافتح عينيك ليطل منهما قلبك أيضا . هذه النعمة قــد رأتك ، قد رأتك ، انها تجرى نحوك فاتحة لك ذراعيها ، انهــا نعمة الأُمومة متمثلة في أمّك ، وان نعمــة الأمومة ليس كمثلها نعمة أخرى .

(تتزاحم النعم حول نعمة الأمومة وترحب بها ثم تصطف بين يديهــا وتلزم الصمت توقيرا لهــا) .

نعمة الأمومة : تيلتيل وأنت يا ميتيل ، كيف أجدكما هنا ؟ لم أكن أتوقــع لقــاءكما ، اذ كنت أعانى من الوحــدة فى البيت ، فاذا بكما تعرجان الى السماء حيث تتألق بالسرور أرواح كل الأُمهــات ، ولــكن لنتبادل العناق والقبلات ، قبلات كثيرة ، قدر ما نستطيع ، ارتميا فى حضنى فليس فى العالم سعادة أكبر من هذه السعادة ، لــاذا لا تبتسم من البشر يا تيلتيل، وأنت كذلك يا ميتيــل ، ألا تتبيّنان حبّ أمكما ، انظــرا الىّ بامعــان ، ألا تريان عينىّ وشــفتى وذراعى .

هـو : نعم ، نعم ، اننى أتبينها ولـكنى لم أكن أدرى ، لك صورة أمنا ولكنك أجمل منها .

نعمة الأمومة : هذا حق لأننى أصبحت لا أتقدم فى الشيخوخة ، وكل يوم يمضى يمنحنى فيضا من القوة والشباب والسعادة ، وكل بسمة منكما ترفع مما مضى لى من عمر يثقل كاهلى سنة بأكملها ، لا يتبين لكما هذا فى البيت ولكن كل شىء هنا متبين على حقيقته .

هـو : ـ تأخذه الدهشة ويتأمل أمّه ويحضنها ويعانقها بدوره ـ ما هـذا الثوب الجميل ، من أى نسيج هو ؟ أهو من حرير أو من فضة أو من لؤلؤ ..

نعمة الأمومة : كلا ، انه من حنوّ النظرات والقبلات واللمسات، فكل قبلة تهبه شعاعا من القمر أو من الشمس .

هـو : هذا عجيب ، فلم أكن أحسب قط أنك على مثل هذا الثراء ، فأين اذن كنت تخفين هـذا الثوب الجميل ، أفى الصوان الذى مفتاحه مع أبى ؟

نعمة الأمومة : كلا ، كنت ألبسه كل يوم ، ولكن العين لا تراه لأنها لا ترى شيئا اذا كانت بلا بصيرة فكأنها مغمضة ، هذا الثراء لكل أم تحب أولادها ، فقيرة هى أم دميمة أم عجوز ، فان حبّ الأم لأولادها هو من بين النعم الكبرى أكثرها جمالا وبهاء ،

وكل سحابة من الحزن على وجه أم يكفيها لكي تنقشع وتتبدد قبلة واحدة تهبها أو تنالها وتصبح الدموع نجوما تتلألأ فى محجريها .

هـو : (ينظر اليها فى دهشة) نعم ، هذا حق ، فانى أرى نجوما تتلألأ فى محجريك ، انهما عيناك كما عرفتهما ولكنهما الآن أكثر بهاء ، وها هى ذى يداك أيضا ، وها هو ذا خاتمك ، بل ها أنذا أرى أثر الحرق الذى أصابها ذات يوم وأنت تشعلين المصباح ، ولكن زاد بياض هذه اليد وزاد صفاء بشرتها ، كأنما يفجّ منها النور . أهى تعينك الآن فى العمل كما كانت تفعل سابقتها فى البيت ؟

نعمة الأمومة : نعم ، فهى يد واحدة لم تتبدل ، أفلم تكن تراها فى البيت تتألق بالبياض ويفجّ منها النور كلما ربتت عليك بحنان ؟

تيلتيل : هذا عجيب يا أمى ، هذا هو صوتك بعينه ، ولكن كلامك هنا أجمل من كلامك فى البيت .

نعمة الأمومة : أنسيت كثرة مشاغلى فى البيت وزحمة العمل ، ولكن احساس القلب يغنى عن شهادة الأذن والآن وقد أبصرتنى فهل يا ترى ستتبين صورتى هذه اذا عدت للكوخ غدا ورأيتنى فى ثيابى الممزقة؟

هـــو : لا أريد أن أعود ما دمت أنت هنا ، فانى أحبّ أن أكون معك طوال بقائك فى هذا المكان .

نعمة الأمومة : الأُمر سيان ، لا فرق بين بقائنا معا هنا وبين بقائنا معا فى البيت ، أنت وأنا ، أنت لم تأت هنا الا لتدرك وتعرف فى أية صورة ينبغى لك أن ترانى حين ترانى فى البيت . أفاهم أنت يا تيلتيل ؟ أنت تحسب أنك الآن فى عالم علوىّ ، ولـكن هـذا العـالم العلوىّ لم يكن ينقصنا من قبل كلما تبادلنا العناق والقبلات ، ومعنى الأُم لا يقبل التثنية ، فليس لك أم سواى ، لكل ولد أم واحـدة لا تتبـدل ، هى عنده دائما أجمـل الأُمهات ولـكن ينبغى له أن يدرك حقيقتها ويعرف كيف يراها ، ولكن قل لى كيف فعلت حتى وصلت الى هذا المكان ووجدت طريقا ظلّ الانسان يبحث عنـه منـذ أن سـكن الأُرض ؟

هـــو : (مشيرا الى بسمة النور) هى التى قادتنى (تتراجع بسمة النور متحشمة) .

نعمة الأمومة : ومن تكون هى ؟

هـــو : انها بسمة النور .

نعمة الأمومة : اذن هذه هى صاحبتك التى سمعتُ عنها ، يقولون

انها تحبك كثيرا ، وانها طيبة القلب . ولكن لماذا تتحجب ؟ ألا تسفر عن وجهها أبدا ؟

هـو : نعم نعم ، ولكنها تخشى أن يتزلزل الهناء اذا تجلّت له الحقائق بفضلها .

نعمة الأمومة : ألا تدرى صاحبتك اذن أنها هى التى ننتظرها دون أحد سواها ، (تنادى على بقية النعم) اقدمن يا اخواتى ، أقدمن جميعكن ، هذه هى بسمة النور جاءت أخيرا لتزورنا .

(تزيط النعم وتهلل وهى تقترب) .

النعـم : بسمة النور هنا ، بسمة النور هنا .

نعمة الفهم : (تزيح كل أخواتها لتنفرد بمعانقة بسمة النور) لم نكن ندرك أنك بسمة النور ، فأنت اذن هى ، لقد لبثنا ننتظرك زمنا طويلا ، أتعرفيننى ؟ اننى نعمة الفهم التى طالما بحثت عنك ، اننى فى غاية السعادة وان كنت لا أرى أبعد من أنفى ..

نعمة العدل : (تعانقها بدورها) هل تعرفيننى ؟ اننى نعمة العدل التى طالما ناشدتك العون ، اننى فى غاية السعادة وان كنت لا أرى أتبعد من ظلّى .

نعمة الجمال : (تعانقها كذلك) اننى نعمة القدرة على رؤية

الجمـال التى طالمـــا هامت بك ، اننى فى غـاية السعادة وان كنت لا أرى أبعد من مسرى أحلامى .

نعمة الفهم : كفى كفى يا أخـواتى والا طال انتظـارنا ، نحن لا ينقصنا ثبات القوة ، ولا تنقصنا سلامة الطوية ، (مخاطبة بسمة النور) هيّا ، انزعى كل الأُحجبة التى تخفى عنا بقية الحقائق ، وبقية النعم ، ها أنت ذى ترين كل أخواتى راكعات عند قدميك ، فأنت مليكتنا ، وأنت ثوابنا .

بسمة النور : (وهى تمعن فى حجب وجهها) أخواتى، أخواتى، الجميلات ، ان لى مولى أطيعه ، لم يحن الوقت بعد ، لعله يحين فيما بعـد ، حينئذ سأقبل عليكن بلا خشية ، منفلتة من حجُب الظلال ، فوداعا ، انهضن نتبادل العناق ، مرة بعـد أخرى ، شأن شقيقات اجتمعن بعـد فراق ، انتظارا منـا لليـوم الموعود .

نعمة الأمومة : لن أنسى كرم رعايتك لولدىّ الحبيبين .

بسمة النور : اننى سأرعى دائما كل أناس يحب بعضهم بعضا .

نعمة الفهم : لتكن آخر قبلاتك قبلة على جبينى .

(تتبادلان العناق طويلا ثم تنفصلان ماذا فى العيون دموع تترقرق) .

هــو : (بدهشة) لمــاذا تبكيان ؟ (ينظر الى بقية النعم) وأنتن أيضا ، لمَ البكاء ، لمــاذا لم تبق واحدة لم تترقرق فى عينيها الدموع ؟

بسمة النور : اسكت يا بنىّ ..

ســتار

الفصل الخامس

عالم الغـد
المنظر العاشر

بهو فسيح فى قصر الأثير ، حيث يقيم الأطفال الذين لم يولدوا بعد ، على مد النظر أعمدة من الياقوت تسند عقودا من الزمرد ، كل ما فى البهو من ضوء وعتبات لازوردية ، وشعشعةنهاية البهو حيث تتراجع الأعمدة، وتنبهم أواخرهـا : كل الأشياء كبيرهـا وضئيلها تجللها غلالة من زرقة لطيفة كأنها من عمل السحر أو من نسج الخيال ، يشذ عن ذلك قواعد الأعمدة وتيجانها والأحجار واسطة العقود وبعض الكراسى والمقاعد الدائرة فانهـا من الرخـام أو المرمر ، الى اليمين ، بين الأعمدة أبواب ضخمة من العقيق ، هذه الأبواب التى سيفتحهـا الدهر قبل ختام المنظر فتنكشف الحياة على الأرض ومطالع الفجر ، يتناثر بتناسق فى كل أرجاء البهو حشد من الأطفال ، يلبسون ثيابا فى زرقة السماء ، بعضهم يلعب ، وبعضهم يتمشى ، وبعضهم مستغرق فى الحديث أو الأحلام ، وكثير منهم فى سبات، وكثير منهم أيضـا يشتغلون بين الأعمدة بتجارب تسفر عن مخترعات الغـد ، ما يصنعونه من أدوات وعـدد وأجهزة ،

وما يزرعونه أو يجنونه من نبات وزهـــور وفاكهةتلفها جميعاغلالة من الزرقةالسماوية التى تجلل البهو كله ، تجوس بين الأطفالفى صمت شخوص كأنها من ملائكة ، لها قامة مديدة ، وبهاء رائع مطمئن .

يدخل من اليسار ، وكأن الدخول خلسة، بالتسحب خلف الأعمدة فى مقدمة المسرح كل من تيلتيل وميتيل وبسمة النور فيثور لدخولهم بين الأطفال هرج ومرج ، ثم يهرعون اليهم من كل صوب ، ويتحلقون حول هؤلاء الزوار الأغراب وينظرون اليهم بدهشة .

ميتيــل : أين قمع السكر والهرة والرغيف ؟

بسمة النور : ليس من شأنهم الدخول هنـــا ، فلو تركنـاهم يدخلون لعرفوا المستقبل ورفضوا الطاعة .

ميتيــل : والكلب ؟

بسمة النور : يحسن أيضا أن لا يعلم ما ينتظره على مر القرون، لقد جمعتهم كلهم فى قبو الكنيسة .

هــو : وأين نحن ؟

بسمة النور : نحن فى عالم الغد ، بين الأطفال الذين لم يولدوا بعد ، وبما أن المـــاسة ستتيح لنا أن نبصر هنـا بوضوح كل ما يعجز الانسان عن رؤيته فاننا فى أغلب الاحتمال سنعثر هنا على الطائر الأزرق .

هــو : عسير أن لا يكون أزرق اللون ، فهذا هو لون كل شيء هنا (يتأمل فيما حوله) ما أجمل هذا المشهد .

بسمة النور : انظر الى الأطفال الذين يجرون اليك .
هـــو : هل أغضبهم حضورنا ؟
بسمة النور : كلا ، فأنت ترى أنهم يبتسمون ولكنهم فى دهشة .
الأطفال الزرق : (يجرون اليهم وقد تكاثر عددهم) أحياء صغار ، تعالوا وانظروا الأحياء الصغار .
هـــو : لماذا يسموننا بالأحياء الصغار ؟
بسمة النور : لأنهم لم يصبحوا بعد من الأحياء .
هـــو : وماذا يفعلون اذن ؟
بسمة النور : انهم ينتظرون ساعة مولدهم .
هـــو : ساعة مولدهم ؟
بسمة النور : نعم ، فهنا يتجمع كل الأطفال الذين يولدون فى الأرض ، وكل واحد منهم ينتظر ساعته ، وحين يود الأباء والأمهات أن يرزقوا بأطفال فان هذا الباب الكبير الذى تراه هناك ، على اليمين ، ينفتح ويخرج منه هبتهم من الأطفال .
هـــو : ما أكثر عددهم ، ما أكثر عددهم ؟
بسمة النور : وهناك كثير أيضا غيرهم ، فنحن لا نراهم كلهم ، تخيل عدد الأطفال الذين سيعمرون الأرض الى آخر الدهر ، لا أحد يقوى على احصائهم .
هـــو : ومن هى تلك الشخوص الزرق ؟

بسمة النور : لا يدرى أحد أمرها على وجه التحقيق ، يقال انها
الحارسات الحفظة ، وعهدها بالأرض يأتى بعد
هـو : عهد البشر ، غير انه لا يجوز لنا أن نستجوبها ٠
بسمة النور : ولماذا ؟
هـو : لأن ما عندها هو سر الأرض ٠
بسمة النور : وما القول فى الصغار ؟ هل نستطيع أن نكلمهم ؟
نعم ، وينبغى أن نتعارف ، انظر ، ها هو ذا واحد
منهم أشدّ من الآخرين تطلّعا اليك فاقترب منه
وكلّمه ٠
هـو : وماذا أقول له ؟
بسمة النور : ما شئت ، كأنما تتحدث الى رفيق ٠
هـو : وهل لى أن أصافحه ؟
بسمة النور : بطبيعة الحال ٠ فهو لن يؤذيك ، ولكن عجبا لك،
لِمَ هذا التهيب ، سأترككما وحدكما لتجد
راحتك معه ، ثم لا بُد لى من أن أتحدث مع
الشخوص الزرق ٠
هـو : (يقترب من الطفل الأزرق ويمد له يده) أهلا
وسهلا ، (يلمس باصبعه ثوبه الأزرق) ما هذا ؟
الطفل الأزرق : (يلمس بجدّ قبعة تيلتيل) وما هذه ؟
هـو : هذه هى قبعتى ، أليس لك قبعة ؟

الطفل الأزرق : لا ، وفيمَ لبس القبعات ؟

هــو : خلعها يعنى الاشارة بالتحية ، ثم انها تنفــع فى البرد .

الطفل الأزرق : وما هو البرد ؟

هــو : حين يرتجف جسدك هكذا (يقلد تيلتيل حركة ارتجاف المقرور) وحين تنفخ فى كفّيك وتطوّح بذراعيك هكذا (يطوّح تيلتيل بذراعيه) .

الطفل الأزرق : هل في الأرض برد ؟

هــو : نعم ، فى فصل الشتاء ، حين لا حطب فى المدفئة .

الطفل الأزرق : ولماذا لا يكون فيها حطب ؟

هــو : لأنه غالى الثمن ولا بد من نقود لشرائه .

الطفل الأزرق : ما هى النقود ؟

هــو : هى الشىء الذى ندفع به .

الطفل الأزرق : فهمتُ .

هــو : وبيننا من عنده نقود ، وبيننا من ليس عنده نقود .

الطفل الأزرق : ولماذا ؟

هــو : لا نقــود الا عنــد الأغنياء ، هــل أنت غنى ؟ كم عمرك ؟

الطفل الأزرق : ســأولد عما قريب ، بعــد عشر ســنوات ، كيف وجدت أنت الولادة ، هل طبت بها ؟

هـو : نعم وسررت أيضا .

الطفل الأزرق : وماذا فعلت لتنالها ؟

هـو : لم أعد أذكر ، فقد مضى عليها وقت طويل .

الطفل الأزرق : سمعنا كلاما كثيرا عن جمال الأرض وجمال الأحياء .

هـو : صدقت ، فأنا لا أشكو من شيء ، فعندنا طيور وكعك ولعب ، بعض الأولاد عندهم كل هذا ، ومن ليس عنده يستطيع أن يتمتع برؤيتها في يد الآخرين .

هـو : سمعنا ان الأمهات يقفن بالأبواب لمراقبتنا ، يقال انهن طيبات القلب ، أحق هذا ؟

هـو : نعم ، الأمهات أبدع شيء في الأرض ، والجدات أيضا ، غير ان الموت يتخطف الجدات سريعا .

الطفل الأزرق : تقول الموت ؟ ما هو الموت ؟

هـو : رحيل ذات مساء بلا عودة .

الطفل الأزرق : لماذا ؟

هـو : لا أحد يدري ، لعل الدافع على الرحيل هو طلب النجاة من الأحزان .

الطفل الأزرق : وهل رحلت عنكم من تسميا جدتك ؟

هـــو : نعم ، وكانت طيبة القلب جدا .

الطفل الأزرق : ماذا جرى لعينيك ، انهما تذرفان لؤلؤا .

هـــو : ليس لؤلؤا .

الطفل الأزرق : ما هو اذن ؟

هـــو : لا شيء سوى أثر انبهار بصرى من انتشار الزرقة حولى .

الطفل الأزرق : وما اسمه ؟

هـــو : اسم ماذا ؟

الطفل الأزرق : هذا الذى يترقرق فى عينيك .

هـــو : ما هو الا قطرات من المـاء .

الطفل الأزرق : وهل ينبع من العينين ؟

هـــو : نعم ، أحيانا ، عند البكاء .

الطفل الأزرق : تقول البكاء ؟ ما هو البكاء ؟

هـــو : اننى لم أبك ، الذنب ذنب الزرقة من حولى ، ولو بكيت لكان حالى أيضا كما ترى .

الطفل الأزرق : وهل يبكون عندكم كثيرا ؟

هـــو : الصبيان لا يبكون ، أما البنات ... وهل عندكم أنتم بكاء ؟

الطفل الأزرق : كلا ، ولا أعرف كيف أبكى .

هــو : صبرا ! ستعرف فيما بعد ، بماذا تلعب ، ما هـذه الأجنحة الكبيرة ؟

الطفل الأزرق : هذه ؟ انها من أجل الاختراع الذى سأقوم به في الأرض .

هــو : أى اختراع هو ؟ هل اخترعت شيئا ؟

الطفل الأزرق : نعم ، أفلا تدرى ؟ حين أحل بالأرض ينبغى لى أن أخترع الشيء الذى يهب السعادة .

هــو : أهو شيء لذيذ أكله ، أم شيء له ضجيج ؟

الطفل الأزرق : كلا ، لا حس له .

هــو : يا للخسارة ..

الطفل الأول : انني أشتغل به كل يوم ، وأكاد الآن أنجزه ، هل تريد أن تراه ؟

هــو : طبعا ، أين هو ؟

الطفل الأزرق : هناك ، بين عمودين ، يمكنك أن تراه من هنا .

(يقترب طفل أزرق آخر من تيلتيل ويشده من كمه) .

الطفل الثانى : هل تريد أن ترى اختراعى أنا أيضا ؟

هــو : نعم ، وما هو ؟

الطفل الثانى : الوصفات الأربع والأربعون لاطالة الحياة ، انها فى هذه الزجاجة الزرقاء .

طفل ثالث : (يخرج من الحشد) أما أنا فسأسلط نورا لا يعرفه أحد (يسطع جسمه بنور عجيب) أليس هذا بغريب ؟

طفل رابع : (يشد تيلتيل من ذراعه) تعالَ لكى ترى الآلة التى اخترعتها ، انها تحلق فى الهواء كأنها طائر بلا جناح .

طفل خامس : صبرا صبرا ، تعالوا أولا لتروا اختراعى أنا ، انه يكشف الكنوز المخبوءة فى القمر .

(يتزاحم الأطفال الزرق حول تيلتيل وميتيل ويناشدهما كل واحد منهم بالبدء برؤية اختراعه أولا ، وتختلط الأصوات فيقول صوت « انه أجمل اختراع » ويقول صوت « انه أعجب اختراع » ويقول صوت « انه متشكل من السكر » ويقول صوت « ان سر اختراعى هو فى بساطته » ويقول صوت « لقد سرقوا منى فكرتى » .

وفى هذا الضجيج يشدون تيلتيل وميتيل الى ناحية المعامل الزرق حيث يدر كل طفل آلته المدهشة فتدور فى جو أزرق عجلات واسطوانات وتروس وأشياء عجيبة لم تجد لها اسما الى اليوم ، كأنها فى عالم من صنع الخيال ، آلات كثيرة غريبة مجهولة السر تنطلق وتحوم أعلى البهو أو تزحف على الأرض حول الأعمدة ، على حين ينشغل بعض الأطفال الزرق ببسط لفائف الخرائط والرسوم وتقليب صفحات الكتب وازاحة

السستار عن تماثيل زرق وتناول زهور ضخمة وفواكه هائلة الحجم وكأنهـــا من ياقـــوت وزمرد •

الطفل الأزرق : (وهو رازح تحت حمل زهرة زرقاء ضـخمة) انظروا الى أزهارى •

هــو : ما هذه الأزهار ؟ لا عهد لى بها •

الطفل الأزرق : انها من زهور الربيع •

هــو : مستحيل ، انها كبيرة كعجلة قطار •

الطفل الأزرق : وما أزكى عطرها ؟

هــو : (يشمها) هائل جدا •

الطفل الأزرق : ستكون الأزهار هكذا حين أنزل الى الأرض •

هــو : متى اذن ؟

الطفل الأزرق : بعد ثلاث وخمسين سنة ، وأربعة شهور ، وتسعة أيام •

(ويأتى اثنان من الأطفال الزرق يحملان عنقودا عجيبا من العنب ، حبـــاته فى حجم الكمثرى وكأنه ثريا بللورية ضخمة) •

احد الطفلين : وما رأيك فى فاكهتى ؟

هــو : أهو عنقود من الكمثرى ؟

الطفل : كلا ، انه عنقود من العنب ، وسيصبح كل عنب هكذا حين أبلغ الثلاثين من عمرى فقد اكتشفت السر •

طفل آخر : (ينوء بحمل قفص به تفاح في حجم البطيخ)
انظرني أنا . هل ترى تفاحي ؟

هـو : انه بطيخ لا تفاح .

الطفل : كلا ، انه تفاحي ، وهو ليس أفضل ما عندي ، كل تفاح سيكون هكذا حين أصبح بين الأحياء ، فقد اهتديت الى السر ، وسأكون بستاني الملك صاحب الأفلاك التسعة .

هـو : الملك صاحب الأفلاك التسعة ؟ أين هو ؟

الملك : (يتقدم بخيلاء ، عمره أربع سنوات فيما يبدو لا يكاد يملك الوقوف على ساقيه الصغيرتين المعوجتين ، هو أنا .

هـو : ولكنك غير كبير السن .

الملك : (بلهجة ملؤها الجد والعتاب) غير أن كل الذي سأفعله سيكون كبيرا .

هـو : أي شيء ستفعل ؟ !

الملك : سأؤسس الاتحاد العام للأفلاك السماوية .

هـو : (ملحا في السؤال) حقا ؟

الملك : كلها ستصبح أعضاء في الاتحاد ما هدا المشترى

واورانيوس ونيبتيون فهى على بعـد مهول يجـل
عن القياس .

هـــو : شيء بديع .

طفل أزرق : هل ترى هذا الطفل هناك ؟

هـــو : أيّهم ؟

الطفل : هناك ، الطفل الصغير النائم عند قاعدة عمود .

هـــو : وما خبره ؟

الطفل : انه سيهب الفرحَ للأرض .

هـــو : وكيف ؟

الطفل : بأفكار لم تتولد بعد .

هـــو : وهذا الطفل السمين الذى يدس اصبعه فى أنفه ،
ماذا سيفعل ؟

الطفل : سيكشف النار التى تستمد منها الأرض دفئها اذا
ما وهنت حرارة الشمس .

هـــو : وهذان الطفلان اللذان لا يكفان عن تبادل العناق
وقد شدّ كل منهما على يد الآخر . هل هما أخ
وأخت ؟

الطفل : كلا ، انهما طفلان نحن فى حيرة من أمرهما ،
انهما هما العاشقان .

هـــو : وما معنى عاشق ؟

الطفل : لست أدرى ، هكذا يسميهما الدهر ، من قبيل السخرية بهم ، لا عمل لهما طول اليوم الا تبادل النظرات والقبلات وتنهدات الوداع •

هـو : ولماذا ؟

الطفل : لأنهما لن يتاح لهما فيما يبدو أن ينزلا الى الأرض معا •

هـو : وهذا الطفل أبو الخدين المورّدين الذى يمص أبهامه وقد بدت عليه امارات الجدّ • مَنْ هو ؟

الطفل : انه ـ فيما يبدو ـ المكلف بمحو المظالم من على وجه الأرض •

هـو : حقا ؟

الطفل : يقال انه عمل شاق •

هـو : وهذا الطفل الأشقر الذى يمشى وكأنه لا يرى شيئا ، هل هو مصاب بالعمى ؟

الطفل : لم يصبه للآن ولكن سيصيبه فيما بعد ، تأمله جيدا ، أنه فيما يبدو المكلّف بالانتصار على الموت •

هـو : ماذا سيعمل ؟

الطفل : لست أدرى على وجه اليقين ، ولكن يقال ان عمله سيكون هائلا •

(يشير تيلتيل الى أطفال نائمين عند قواعد الأعمدة ، وفوق الدرج وعلى المقاعد) .

هو : وكل هؤلاء النائمين ، وما أكثر النائمين هنا ، ألن يكون لهم عمل ؟

الطفل : ان ذهنهم هو الذى يعمل الآن .

هو : من أجل ماذا ؟

الطفل : انهم لا يدرون بعد ، ولكن ينبغى لهم أن يمنحوا الأرض شيئا فممنوع علينا هنا أن نخرج الى الأرض وجعبتنا فارغة .

هو : ومن الذى يمنعكم ؟

الطفل : انه الدهر الذى يقف بالباب وسترى حين يفتحه انه لا يترفق بنا .

(طفل يجرى من مؤخرة البهو يشق الحشد) .

الطفل : أهلا يا تيلتيل .

هو : عجبا ، كيف عرفت اسمى .

الطفل : (وهو يلهث ويرشق تيلتيل وميتيل بقبلات حارة) أهلا بكما ، كيف حالكما ، تعال يا تيلتيل عانقنى ، وأنت أيضا يا ميتيل ، ليس من العجيب يا تيلتيل أن أعرف اسمك اذ أننى سأكون أخاك ، لم أسمع الا الآن بمقدمك ، كنت فى نهاية البهو منشغلا

بجمع أفكارى وحزمها ، قل لأبى اننى مستعد .

هــو : كيف ؟ أعازم أنت على المجىء عندنا ؟

الطفل : طبعا ، السنة القادمة ، فى عيد الفصــح ، أرجوك أن لا تعذبنى كثيرا أثناء طفولتى بينكم ، ويسعدنى أن استطعت عناقكما مقدما ، وقل لأبى أن يصلح المهد ، هل الأحوال عندكم طيبة ؟

هــو : لا بأس بها ، وأمى طيبة القلب جدا .

الطفل : والطعام ؟

هــو : أنت وبختك ، وقد تأكل فى بعض الأيام فطائر حلوة ، أليس كذلك يا ميتيل .

هــى : فى الأعياد وأمنا هى التى تصنعها بيدها .

هــو : ما هذا الذى وضعته فى كيسك . ما الذى ستأتى به الينا ؟

الطفل : سآتى ومعى ثلاثة أمراض : الحصبة ، والسعال الديكى ، والحمّى القرمزية .

هــو : كفاية كفاية ، ثم ماذا أنت فاعل بنفسك بعد ذلك ؟

الطفل : بعد ذلك سأرحل .

هــو : لم يكن هناك اذن داع للمجىء .

الطفل : وهل لنا خيار ؟

(يعلو فى هذه اللحظة ثم ينتشر صوت بللورى له ذبذبة متصلة قوية ينبعث فيما يبدو من الأعمدة والأبواب العقيقية وقد غمرها نور أشد سطوعا) .

هـو : ما هذا ؟

الطفل : هذا هو الدهر ، انه يوشك أن يفتح الأبواب .

(يشيع الهرج والمرج بين الأطفال ، يترك أغلبهم آلاتهم وأعمالهم ، النائم منهم يستيقظ ، ويحول الجميع أبصارهم نحو الأبواب العقيقية ثم يقتربون منها)

بسمة النور : (وقد عادت الى تيلتيل) هيّا نحاول الاختفاء وراء الأعمدة ، اذ ينبغى أن لا يكتشف الدهر وجودنا هنا .

هـو : من أين ينبعث هذا الصوت ؟

الطفل : انه الفجر وقد أوشك أن يطلع ، انها الساعة التى ينزل فيها الى الأرض كل طفل سيولد اليوم .

هـو : وكيف ينزلون ؟ هل هناك سُلّم ؟

الطفل : سترى ، انظر الى الدهر ، انه يشدّ المزلاج .

هـو : ومن هو هذا الدهر ؟

الطفل : انه رجل شيخ ، ينادى الأطفال النازلين .

هـو : وهل هو شرير ؟

الطفل : كلا ، ولكنه لا يسمع لنا قولا فانه رغم التوسّل

يصد كل راغب فى النزول اذا لم يكن قد أتى دوره •

هــو : وهل يسعدهم هذا النزول للأرض ؟

الطفل : على كل حال لا يسعدنا البقاء هنا اذا حرمنا من النزول للأرض • غير أننا حين ننزل نشعر بمسحة من الحزن •• أنظر أنظر ، هذا هو الدهر يفتح الأبواب •

(تنفتح الأبواب على مصاريعها ببطء ، وتصل الى الأسماع من بعيد ضجة الأرض كأنها أنغام موسيقية) •

الدهر : (فى هيئة شيخ له لحية طويلة يحمل منجلا وساعة رملية ، يظهر عند الباب ثم تلوح أطراف أشرعة بيض وذهبية لسفن راسية على أرصفة منعقدة من أنفاس الفجر الندية ، يتكلم وهو على عتبة الباب) هل استعدّ كل من دقت ساعته ؟

(يهرع اليه أطفال زرق وهم يشقون الحشد من كل جانب) •

الأطفال : مستعدون ، مستعدون ، مستعدون •

الدهر : (فى صوت أجشّ غضوب ، يقول للأطفال وهم يمرون أمامه استعدادا للنزول) واحدا واحدا ، لقد تقدم منكم عدد أكثر مما ينبغى ، الحال لا يتغيّر ، ولكن هيهات أن يستغفلنى أحد ،

(يصدّ طفلا) ليس هذا دورك ، عُدْ ، فموعدك غدا ، وانت كذلك مثله ، ان موعدك بعد عشر سنوات ، ماذا ؟ أراعٍ آخر يريد النزول ، انه الثالث عشر ولا يلزمنا الا اثنا عشر فقد انقضى عهد الرعاة ، وهذا حشد من الأطباء ، سبق أن نزل منهم أكثر مما يلزم أهل الأرض حتى جأروا بالشكوى . وأين المهندسون ؟ هناك حاجة لرجل أمين بينهم ، رجل واحد ، يكون بمثابة المعجزة فى الأرض ، فأين هو هذا الرجل الأمين ؟ (يشير الى طفل قائلا) أنت ؟ (تفيد هزة من رأس الطفل انه يقول نعم) ولكنك نحيف ، ولن تعيش طويلا ، وأنتم (مشيرا الى أطفال يتزاحمون على النزول) أنتم هناك ، لا تسرعوا هكذا ، (الى طفل) وأنت ماذا ستحمل للأرض ؟ لا شيء ؟ يدك خلو ؟ اذن لا نزول لك . عليك أن تعدّ لأهل الأرض شيئا ، حتى ولو جريمة كبيرة اذا شئت ، أو عدوى وباء ، فالأمر لا يعنينى ، وسيان عندى هذا وذاك ، ولكن لا بد أن تحمل لهم شيئا ان أردت النزول ، (يقع بصره على طفل يدفعه الآخرون للأمام وهو يغالبهم بجهد) وانت ماذا بك ؟ انت تعلم حق العلم ان الساعة ساعتك فهناك طلب لبطل يحارب الظلم ،

فأنت من يجب عليه النزول •

الأطفـال : انه لا يريد النزول يا سيّدنا •

الدهر : كيف ؟ لا يريد النزول ؟ أين يحسب نفسه هذا المسخ ؟ ألا يعلم أن لا شفاعة ولا شـفيع هنـا ؟ (الى الطفل) هيّا هيّا ، فليس لدينا وقت •

الطفل المتأبى على النزول : لا • لا • لا أريد ، أحبّ أن لا أولد ، أفضل البقاء هنا •

الدهر : لادخل هنا لحبّك أو لكرهك ، اذا أزفت الساعة فليس منها مفرّ ، هيا ، الى الأمام ، أسرع •••

طفل آخر يتقدم : دعونى أمرّ ، سآخذ دوره ، فقـد سـمعت أن أبوى عجوزان ، وانهمـا ينتظراننى منذ أمد طويل •

الدهر : دعنا من هذا ، فالساعة هى السـاعة ، والدهر هو الدهر ، لو أصغيت لكم لمـا فرغت ، هذا يريد ، وذاك لا يريد ، هـذا متعجـل ، وذاك متبـاطىء (يزيح عن عتبة الباب كل الأطفال المتزاحمـين عليها) لا تقتربوا كثيرا يا أولاد ، الى الوراء كل فضـولىّ ، من لم يأت دوره لا شـأن له بما وراء الباب ، أنتم الآن تتلهفون على الخروج وحـين يجيء دوركم اذا بـكم تنكصـون فى خـوف

انظروا ، ها هم أربعة أطفال يرتعشون كورقة فى مهبّ الريح ، (الى طفل لم يكد يهم بالخروج حتى عاد أدراجه) ماذا بك ؟

الطفل : نسيت الصندوق الذى وضعت فيه الجريمتين اللتين سأرتكبهما فى الأرض .

طفل آخر : ونسيت أنا القمقم الذى وضعت فيه الفكرة التى ستنير للناس طريقهم .

الطفل الثالث : ونسيت أنا البذرة التى ستطرح أجمل الكمثرى .

الدهر : أسرعوا وأتوا بها،لم يبق أمامنا الا اثنتان وسبعون ثانية ، ان سفينة الفجر تهز شراعها دلالة على أنها تستعجلنا ، اذا تأخرتم أقلعت دونكم ولم تولدوا ، هيا هيا ، انزلوا الى السفينة (يمسك بطفل يحاول المروق من بين ساقيه ليركب السفينة) ماذا أفعل بك ؟ لقد عيل صبرى ، هذه ثالث مرة تحاول فيها أن تولد قبل دورك احذر أن تقع يدى عليك مرة أخرى والا سيكون انتظارك أبديّا ، ويكون مقامك فى جوار أخى الأزل ، وانت تعلم انه مقام عصيب ، دعونى الآن لعملى ، هل نحن جميعا مستعدون ؟ هل كل واحد منا فى مكانه ؟ (تستعرض نظرته الأطفال الذين تجمعوا على

الرصيف أو جلسوا في السفينة) ينقصنا واحد ، يختبيء كما يشاء فاني لا بُدّ واجده رغم الزحام، فهيهات أن يستغفلني أحد ! فهيّا ، انت هناك ، انت الذي يسمونه بالعاشق ، قل وداعا لعشيقتك وتعال (زوج العشاق وهما في عناق طويل ، لكل منهما وجه محنق يائس يتقدمان نحو الدهر ويبركان أمامه .

البنت : دعني يا سيدي أرحل معه .

الولد : دعني يا سيدي أمش معها .

الدهر : مستحيل ، لم يبق أمامنا الا ثلاثماية وأربع وتسعون ثانية ، وليس لأحد منكم خيار هنا .

البنت : سيّدي ، سيكون نزولي الى الأرض بعد فوات فرصة اللقاء .

الولد : لن أكون هناك حين تنزل هي .

البنت : لن تتاح لي رؤيته بعد اليوم .

الولد : سيعيش كل منا في الأرض وحيدا .

الدهر : كل هذا لا يعنيني ، قدّما التماسكما الى الحياة أما أنا فأجمع وأفرق تنفيذا للأوامر ، (يمسك بالولد ويقول له) : تعال .

الولــد : لا . لا . خذها هى أيضا .

البنت : (تتشبث بثياب الولد) دعه لى ، دعه لى .

الدهر : رشادكما ! اننى لا أقوده للمـوت ! بل للحيـاة (يجر الولد قائلا له : تعالَ تعالَ) .

البنت : (تمد يدها بيأس نحوه) اجعل لى علامة ، علامة، قل لى كيف ألقاك ؟

الولــد : سأحبك الى الأبد .

البنت : سأكون سقيمة من الحزن ، وهذه هى علامتى التى ستعرفنى بها .

(تسقط وتظل ميطرحة على الأرض) .

الدهر : تجمّلى ، فهذا أفضل لك ، والآن قد انتهينا (ينظر الى ساعته الرملية) لم يبق أمامنا الآ ثلاث وستون ثانية .

(يشتد آخر هرج ومرج للأطفال الراحلين والباقين ، تبادل لعنـــاق الوداع فى عجلة « الى اللقاء يا بيير » — « الى اللقاء ياجان » « هل أخـــذت كل ما يلزمك ؟ » — « بشر بأفكارى » — « ألم تنس شيئا » — « لاتنس أن تلقانى هناك » — « سأهتدى اليك » — « اياك أن تفقد فكرتك » — « احذر أن تميل كثـــيرا وأنت تطل من حافة السفينة على الفضاء » — « ابعث لنا بأخبارك » — « اخبرنا

هل الحال طيب هنـــاك » ــ ستجدنى فى
لقائك » سأولد على عرش النخ النخ) •

الدهر : (وهو يهز منجله ومفاتيحه) كفى كفى ، رفعت السفينة أنجرها وأوشكت على الاقلاع •

« يمر شراع السفينـــة ثم يختفى ، ونسمع تهليل راكبيها وهى متباعدة : « الأرض ، الأرض ، انى أراها ، انها جميلة » ، انهـــا مضيئة ، انها كبيرة ، ثم تنبعث وكأنما من قرار سحيق أغنية تأتى من بعيد كلها مرح وترقب » •

هـــو : (الى بسمة النور) ما هذه الأغنية ؟ انها ليست فيما يبدو من غناء الأطفال الراحلين ، فالصـــوت مختلف •

بسمة النور : نعم ، فهذه هى أغنية الأمهات المتطلعات للقـــاء الأطفال •

(يغلق الدهر الأبواب العقيقية ثم يلتفت ليلقى آخـــر نظرة على البهو فاذا به يفاجأ بتلتيل وميتيل وبسمة النور) •

الدهر : (فى دهشة وغضب) ما هذا ؟ ماذا تفعلون هنا ؟ من أنتم ؟ لمـــاذا لونكم غير أزرق ؟ من أين دخلتم ؟

(يتقدم اليهم مهددا بمنجله) .

بسمة النور : (الى تيلتيل) لا ترد عليه ، ان الطائر الأزرق

معى ، أخبئه تحت وشاحى ، فلنهرب من هنـا ،
أدر المـاسة وسترى أنه سيعجز عن اقتفاء أثرنا .

(يتسللون بين الأعمـدة الى اليســـار
ويخرجون) .

« ســـتار »

الفصل السادس

المنظر الحادى عشر

الوداع

المسرح يمثل جدارا يشقه باب صغير ،
الوقت : طلوع الفجر ، يدخل تيلتيل وميتيل
وبسمة النور والرغيف وقمع السكر والنار
واللبن .

بسمة النور : ما هذا المكان فى تخمينك ؟ ستعجز عن الاجابة ولا ريب ؟

تيلتيل : طبعا لا أستطيع أن أجيب وكيف أعرفه وأنا لم أره من قبل ؟

بسمة النور : ألا يتبين لك هذا الجدار وهذا الباب الصغير ؟

هــو : هذا جدار أحمر وباب صغير أخضر

بسمة النور : ألا يذكرك الباب بشىء ؟

هــو : يذكرنى بالباب الذى خرجنا منه هربا من الدهر .

بسمة النور : ما أغرب حال الناس حين يعيشون فى الأحلام ، يدهم أمامهم يرونها ولكنهم لا يعرفونها .

هــو : من الذى يحلم ؟ أهو أنا ؟

بسمة النور : لعلّه أنا ، من يدرى ، ومع ذلك فهـذا الجـدار يسوّر بيتا رأيته أنت مرارا منذ مولدك .

هـــو : تقولين اننى رأيته مرارا ؟

بسمة النور : صـحّ النـوم ، هـذا هو البيت الذى غادرناه ذات مساء منذ عام فى مثل هذا اليوم ، لا قبل ولا بعد .

هـــو : عام كامل ؟ ثم ماذا حدث ؟

بسمة النور : لا تجحظ عيناك من الدهشة كأنهمـا بحيرتان من الياقوت ، انه هو البيت ، بيت والديك .

هـــو : (يقترب من الباب) نعم ، أظنّه هو ، نعم ، يخيل الىّ ، هذا الباب الصغير ، عرفت الآن مزلاجه ، هل سأجد أهلى داخله ؟ هـل نحن الآن بالقرب من أمى ؟ أود أن أدخل فورا ، وأعانقها تواً .

بسمة النور : انتظر لحظـة ، انهمـا غارقان فى سـبات عميق . ينبغى أن لا نوقظهما فجأة ، ثم ان الباب لا ينفتح الا اذا دقت الساعة .

هـــو : أية ساعة ؟ وهل سيطول انتظارى ؟

بسمة النور : كلا مع الأسف ، ما هى الا دقائق قليلة .

هـــو : ألا يسعدك الدخول معى ؟ ماذا بك يا بسمة النور ، انك شاحبة اللون حتى ليقال انك مريضة .

يسمة النور : أنا بخير يا بنيّ ، ولكني أحسّ بمسحة من الحزن لأنني سأفارقكم .

هـو : تفارقيننا ؟

يسمة النور : لا مفرّ من ذلك . لم يعد لي ما أعمله هنا . لقد حال الحول ، فان الجنية ستعود وتطالبك بالطائر الأزرق .

هـو : ولكن الطائر الأزرق ليس معي ، فان طائر عالم الذكريات قد اسودّ لونه ، وطائر عالم الغد قد احمرّ لونه ، وطيور فحمة الليل قد ماتت ولم أستطع اقتناص طائر الغابة ، هل الذنب ذنبي اذا بدّلت الطيور ألوانها أو ماتت أو طارت من يدي . وهل ستغضب الجنية ، وماذا عساها تقول ؟

يسمة النور : فعلنا كل ما قدرنا عليه ، لا مفرّ من الاعتقاد بأن الطائر الأزرق لا وجود له اذ أنه يبدّل لونه اذا دخل القفص .

هـو : وأين القفص ؟

الرغيف : ها هو ذا ياسيّدي ، لقد كلفت بحمله والحرص عليه خلال هذه الرحلة الطويلة المليئة بالأخطار ، والآن وقد انتهت مهمتي فاني أعيدهٔ اليك سليما محكم الاغلاق كما تسلمته ، (يتخذ لهجة الخطيب)

والآن ، باسم جميع الحاضرين أستأذنكم فى أن أضيف كلمتين .

النـار : لم يأذن له أحد بالكلام .

المـاء : سكوت . سكوت .

الرغيف : هذه المقاطعات الخبيثة من عدو حقير أو من منافس حقود (يرفع صوته) لا تمنعنى من أداء واجبى حتى النهاية ، لذلك ، نيابة عن الجميع أقول ..

النـار : من أذنك أن تتكلم نيابة عنى ، أليس لى لسان ؟

الرغيف : (مستمرا) نيابة عن الجميع أقول ، تعبيرا عن عاطفة لا يمنعها اضمارها من أن تكون صادقة وعميقة ، اننا نودع الآن الصبيين الصغيرين اللذين اختارهما القدر ، بعد أن تمت اليوم مهمتنا . فاذا قلنا لهما اليوم وداعا فانما نعبر عن حزننا ومودتنا وتقديرنا المتبادل ...

هـو : ماذا ؟ تقول وداعا ؟ أتتركنا أنت أيضا ؟

الرغيف : لا مفر من ذلك مع الأسف ، نعم ، سأفارقكما ولكنه فراق فى الظاهر ، فلا يجد الا أن آذانكم لن تسمعنى أتكلم .

النـار : لحسن الحظ !

المساء : سكوت . سكوت ..

الرغيف : (لا يبالى بالمقاطعة وفى لهجة جادة) اننى أتجاهل هذه المقاطعة ، أعود فأقول ان آذانكم لن تسمعنى أتكلم ، لن ترونى فيما بعد نابضا بالحياة ، ستعمى عيونكم عن رؤية سريرة الأشياء ، ولكنى سأكون هناك دائما ، فى صندوق الخبز ، وعلى الألواح ، وعلى المائدة ، بجانب قدر الحساء ، فانى بين أطعمة الانسان ـ ان جاز لى القول ـ أشدها اخلاصا له وأقدمها صحبة .

النار : مهلا . مهلا وأنا ؟

بسمة النور : رشادكم ، الوقت يمرّ ، والساعة توشك أن تدق، حينئذ تدخلون عالم الصمت فأسرعوا بمعانقة الصغيرين .

النار : (تسرع اليهما) أنا أولا ، أولا أنا (تعانقهما بحرارة وعاطفة ملتهبة) وداعا يا تيلتيل ، وداعا يا ميتيل ، وداعا يا عزيزىّ ، اذكرانى اذا حدث ذات يوم أن احتجتما الى من يشعل لكما نارا ..

هو : أىْ أىْ ، انها تحرقنى .

هى : وتلهب أنفى .

بسمة النور : رشادك يا نار ، بعض هـذا الاندلاق ! انك لا تعانقين مدفئة ..

الماء : يا لها من غبية .

الرغيف : وقليلة الأدب .

الماء : (تقترب من الصبيين) عناقي لكما كله ود ولا أذى منه .

النار : احترسا فانها ستبللكما .

الماء : انني عطوف رقيقة ، سائغة للشاربين .

النار : وما قولك في الغرقى ؟

الماء : أوصيكما بحب النافورة ، واصغيا الى خرير الجداول فاني سأكون هناك .

النار : أهو كلام أو طوفان ؟

الماء : فاذا جلستما مساء على ضفاف الجداول ، والغابة هنا مليئة بها ـ فأصيخا لها السمع لتفهما ماذا تريد أن تقوله لكما ، ان الدموع تخنقني وتمنعني عن الكلام .

النار : لا يطابق حالها قولها .

الماء : واذكراني اذا رأيتما الابريق ، وستجداني أيضا في الكوز ، والبئر ، والمرش ، والصنبور .

قمع السكر : (وهو يبالغ بطبعه فى الرقة والتجمّل) واذا بقى ركن ولو صغير فى ذاكرتكما فلا تنسيا أن صحبتى كانت أحيانا حلوة لكما ، لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك ، فان الدموع غير موصوفة لطبعى ، واذا سقطت على قدمىّ أذابتهما •

الرغيف : يا منافق !

النار : (مقلدة صوت الباعة) سكّر نبات ، مِلبّس ، كراميلاّ •

هو : وأين اختفى تيلو وتيليت • ماذا يفعلان ؟

(تسمع صرخات عالية تنبعث من الهرة)

هى : (فى انزعاج) هذه تيليت تنهنه ، هى فى شدة من الألم •

(تدخل الهرة جريا ، انتفش شعرها وتلبد ، تمزقت ثيابها ، تضع منديلا على خدها كأنما تتوجع من أضراسها ، تتوالى لها تنهدات لا تخلو من غضب ، والكلب يزنقها ويخبطها برأسه ويده وقدمه) •

الكلب : (وهو يضرب الهرّة) خذي ، أيكفيك هذا أم تريدين المزيد خذى •• خذى •

بنسمة النور تيلتيل وميتيل يسارعون الى نصلهما : تيلو ! أجننت ؟ العجب لك . أرقد الا تنتهى ؟ من يصدق ؟ كفى كفى .

(يفصلون بين الاثنين بهمة) .

بسمة النور : ما هذا ؟ ما الذى حدث ؟

الهرة : (تتباكى وتمسح الدموع) انه هو الذى اعتدى على يا سيدتى بسمة النور ، لقد أهاننى وشتمنى ووضع المسامير فى حسائى وشد ذيلى وانهال على ضربا وأنا لم أفعل له شيئا .

الكلب : (يقلدها ساخرا) لم أفعل له شيئا ! (يغيظها بوضع كفه على أنفه وتلعيب أصابعه) لا يهمنى الآن شيء ، فقد ضربتك ، وضربتك ضربا موجعا وسأضربك .

هى : (تأخذ الهرة فى حضنها) تيليت يا مسكينة . أرينى موضع الألم ، اننى سأبكى أنا أيضا ..

بسمة النور : (تزجر الكلب) مما يزيد فى حماقتك انك اخترت لحظة هى فى ذاتها مؤلمة لتعرض علينا هذا المشهد المشين ، ألا تعلم انها لحظة الوداع ؟

الكلب : (وقد هدأ فجأة) أهو وادع للصبيين ؟

بسمة النور : نعم ، فالساعة التى تعرفها ستدق وسنرتد الى عالم الصمت فلا نستطيع بعد ذلك أن نكلمهما .

الكلب : (تند عنه ولولة صادقة ملؤها اليأس ويرتمى على

الصبيين ويرشقهما بقبلان حارة هو جاء) كلا ، كلا ، أبدا ، أبدا ، سأظل أكلمهما ، انت تفهمني الآن يا مولاى ، أليس كذلك ؟ نعم . نعم . سأقول لك كل شيء ، وستقول لى كل شيء ، لن تشكو بعد من سوء أدبى ، وسأتعلم القراءة والكتابة ولعب الدومينو ، وسأكون دائما نظيفا ، ولا أسرق شيئا من المطبخ . أتريد أن أريك لعبة من ألعابى المدهشة ؟ أتريد منى أن أعانق الهرّة ؟

هـى : (للهرة) وأنت يا تيليت ، ليس عندك ما تقولينه لى ؟

الهرة : (وقد أحرجت وهى تتكتم نياتها) ستلقيان منى الحب ما دمتما جديرين به .

بسمة النور : الآن جاء دورى يا عزيزى لأقبلكما للمرة الأخيرة .

(تيلتيل وميتيل يتشبثان بثياب بسمة النور ، كلا . كلا ، يا بسمة النور ، ابقى هنا معنا ، أبونا لن يعترض . وأمنا ستقول لها انكِ كنت فى غاية الطيبة معنا .

بسمة النور : لا أستطيع مع الأسف فان هذا الباب موصدٌ دوننا وينبغى لى أن أفارقكما .

هـو : وأين تذهبين وحدك ؟

بسمة النور : غير بعيد يا عزيزى ، سأكون هناك .. فى عالم الصمت .

هــو : لا . لا . لا أريد فراقك ، سنذهب معك ، وسنقول هذا لأمى .

بسمة النور : لا تبكيا يا عزيزىّ ، ليس لى مثل ما للماء من صوت ، فليس عندى الا ضيائى وهو شىء لايسمعه الانسان . ولكنى سأظل ساهرة على هذا الانسان الى الأبد ، واذكروا دائما اننى هى من تكلمكهما فى كل شعاع من القمر ، وفى كل بسمة من نجم ، فى كل فجر يبزغ ، فى كل مصباح يوقد ، فى كل خاطرة خيّرة بريئة فى قلبيكما ، (تدق الساعة خلف الجدار ثمانى دقات) انصتا ، دقت الساعة ، فوداعا ، الباب ينفتح ، ادخلا ، ادخلا ، مع السلامة ، مع السلامة .

(تدفع الصبيين عبر الباب الصغير الذى ينفتح ثم ينغلق عليهما . يمسح الرغيف دموعا منفلتة ا أما قمع السكر والماء فينخرطان فى البكاء ثم يتفرق الجميع سراعا كأنهم يهربون ويخرجون الى اليمين والى اليسار .

يسمع نباح الكلب من ناحية ، ويظل المسرح خاليا برهة قصيرة ثم ينشق من الوسط منظر الجدار والباب الصغير ليكشف عن المنظر الأخير .

المنظر الثـانى عشر
اليقظـة

هو عين المنظر الأول ، ولكن كأنما مست يد سحرية كل الأشياء ، الجو والجدران ، فاذا بها تنم عن الصفاء والبشر والسعادة ، ينفذ ضوء النهار من خصاص النافذة وينشر البهجة ، تيلتيل وميتيل غارقان فى النوم فى مهديهما على اليمين فى آخر الحجرة ، والكلب والهرة وباقى الأشـياء تلزم الوضـع الذى كانت عليه فى المنظر الأول قبل دخـول الجنية .

(تدخل الأم تيل) .

الأم : (وهى تزجر الصبيين فى حنـو وانشراح) هيـا هيـا ، على أقدامكم يا كسالى ، ألا تخجلان ؟ لقد دقت الساعة الثامنة وعلت الشمس أشجار الغابة ، يا له من نـوم عميـق (تنحنى وتقبلهمـا) على وجناتهمـا صـبغة الورد ، ويفـوح منهما عطـر الزهـور ، (تقبلهمـا مرة أخرى) ما أسـعدنى يا أولادى ! ولكن ينبغى أن لا أطيل نومكما حتى الظهر والا شببتما على الكسل ، ثم انى سمعت أن طول النوم مُضر بالصـحة ، ها هما يستيقظان . ماذا بك ؟ (الى تيلتيل) كأنما عشيت عيناك .

هـو : (وهو يفرك عينيه) أمى . أمى ، أنت التى أرى ..

الأم : نعم بالطبع ، أنا أمك ، لم يتبدل وجهى هذه الليلة . ماذا بك حتى تنظر الى بمثل هذه الدهشة ؟ هل انقلب أنفى فأصبح تحته فوقه .

هـو : ما أسعدنى برؤيتك ، كأننى لم أرك منذ زمن طويل . ينبغى أن أعانقك فورا ، مرة بعد مرة ، أحتما أن هذا هو فراشى ؟ أحقا أننى فى البيت ؟

الأم : ماذا دهاك ، ألم تستيقظ بعد ؟ هل أنت مريض ؟ دعنى أرى . اخرج لسانك ، هيا ، قم والبس ثيابك .

هـو : عجبا ، أرى أننى لا ألبس الا قميصى .

الأم : طبعا ، أنت لا تلبس غيره عند النوم ، هيا ، البس سترتك وسروالك ، انها هناك فوق المقعد .

هـو : هل كنت ألبسها أثناء الرحلة ؟

الأم : عن أى رحلة تتحدث ؟

هـو : رحلتى فى العام الماضى .

الأم : العام الماضى ؟

هـو : نعم ، فى عيد الميلاد ، حينما خرجت من البيت .

الأم : خرجت من البيت ؟ انك لم تغادر هذه الحجرة ،

لقد وضعتك فى الفراش أمس وها أنذا أجدك فيه هذا الصباح ، هل رأيت فى الحلم كل ما تقوله لي ؟

هــو : أنت لا تفهمين ، رحلة العام الماضى حينما خرجت مع ميتيل والجنية وبسمة النور ـ على فكرة ، بسمة النور ست طيبة جدا ـ وكان معنا الرغيف وقمع السكر والماء والنار ولم ينقطع بينهما الشجار . هل أغضبك رحيلى ، هل أحزنك كثيرا ، وماذا قال أبى ؟ لم أستطع أن أرفض الرحيل فتركت رسالة أشرح فيها ...

الأم : ما هذا الهراء ، لا ريب أنك مريض أو أنك لا تزال غارقا فى النوم (تربت عليه بحنان) هيا ، استيقظ ، هل وعيت لنفسك ؟

هــو : أؤكد لك يا أمى . . صدّقينى ، لعلّ المستغرق فى النوم هو أنت .

الأم : كيف أكون مستغرقة فى النوم ، اننى مستيقظة وأعمل منذ الساعة السادسة ، فنظّفت البيت وأشعلت النار فى المدفأة .

هــو : اسألى ميتيل وسترين أننى لا أكذب ، كم رأينا من مغامرات ؟

الأم : ميتيل أيضا ؟ هذه حكاية طويلة •
هــو : انها كانت معى ، ورأينا جدّى وجدّتى •
الأم : جدك وجدتك ؟
هــو : فى عالم الذكريات ، كان فى طريقنــا ، هما بين الأموات ولكن صحتهما حسنة ، وقد صنعت لنـا جدتى فطيرة تفاح بديعة ورأينا أخوتنا روبير وجان ومعه نحلته ، ومادلين وبيريت وبولين ثم ريكيت •
هــى : ريكيت تحبو ولا تمشى •
هــو : أمّا بولين فدمّلها لا يزال على أنفها •
هــى : ورأيناك أنت أيضا يا أمى مساء أمس •
الأم : لا عجب فى ذلك فقد أرقدتكما مساء أمس •
هــو : كلا كلا ، انما رأينـاك فى فـردوس الأرض ، وكنت أبهى جمالا ولكن شبهك لم يتغيّر •
الأم : فردوس الأرض ؟ لست أعرفه !
هــو : (يتأملها ويعانقها) كنت أمس أبهى جمالا ولكنى أحبك كما أنت الآن •
هــى : (تعانقها) وأنا أيضا ••
الأم : (وقــد رق لهمــا قلبها ولــكن القــلق لا يزال يساورها) يا الهى ! ماذا دهاهما ، سأفجع فيهما

كما فجعت فى اخوتهما ، (تنزعج فجأة وتنادى)
بابا تيل ، بابا تيل ، تعال سريعا ، أولادنا مرضى •

الأب : ماذا جرى ؟

هو وهى : (يجريان اليه ويعانقانه فى فرح) هذا هو بابا ،
هذا هو بابا ، صباح الخير يا بابا ، هل كانت السنة
الماضية سنة رخاء ؟

الأب : لم الانزعاج ؟ ما السبب ؟ لا أراهما مريضين ، بل
هما فى أحسن صحة •

الأم : (وعيناها تدمعان) لا تخدعك الظواهر ، فلعلّ
حالهما هو حال اخوتهما وقت أن فجعنا فيهم •
كانوا فى أتمّ صحة الى آخر يوم • ثم توفاهم
الله الى رحمته ، لاأدرى ماذا جرى لهما ، لقد
أرقدتهما أمس فى الفراش وهما فى أحسن حال،
فلما أيقظتهما هذا الصباح اذا هما فى أسوأ حال ،
أصابهما الهذيان ولا كلام لهما الا عن رحلة
موهومة ، رأيا خلالها بسمة النور وجدهما
وجدتهما ، يقولان انهما بين الأموات ولكن
صحتهما حسنة •

هو : جدى لا تزال له ساقه الخشبية •

هى : وجدتى لا تزال تشكو من الروماتزم •

الأم : هل سمعت • اجر لتنادى الطبيب •

الأب : لا • لا • وهل هما يحتضران حتى أناديه ؟ صبرا لننتظر ماذا سيحدث لهما • (يسمع دق على الباب) ادخل ••

الجـــارة : صباح الخير ، وكل عيد وأنتم جميعـا فى صـحة وسلامة •

هـــو : هذه هي الست غرباوية •

الجـــارة : جئت لآخذ قليلا من الحطب ، لأطبخ عليه حساء العيد ، فالجوّ بارد هـذا الصباح ، صباح الخير يا أطفال • كيف الحال ؟

هـــو : يا ست غرباوية ، لم أجد لك الطائر الأزرق •

الجـــارة : ماذا يقول ؟

الأم : مصيبة يا ست غريبّة ، انهما يهذيان ، هـــذا هو حالهما منذ أن استيقظا ، لا شك أنهما أكلا شيئا أضرّ بهما •

الجـــارة : طيّب يا تيلتيل ، ألا تعرف الست غُريبّة ، جارتك الست غُريبّة ؟

هـــو : نعم أعرفك ، أنت الست غرباوية • أغاضـبة أنت منى ؟

الجـارة : غرباوية ؟

هـو : غرباوية .

الجـارة : تريد أن تقول غُريبة ؟

هـو : غرباوية ، غريبة ، كما تشائين ، ان كنتم فى شك فاسألوا مبتيل .

الأم : الداهية السوداء أن ميتيل تهذى أيضا .

الأب : كلام فارغ ، سينقطع الهذيان وسأناول كلا منهما صفعة على خده لتنبيهه .

الجـارة : لاتفعل ، لالزوم للصفع ، فانى خبيرة بهذه الحالة هى أضغاث أحلام تلم بكل من يرقد فى ضوء القمر ، وابنتى المريضة حالها هكذا فى أغلب الأوقات .

الأم : على فكرة ، كيف حالها الآن ؟

الجـارة : نصف نصف ، انها لا تقوى على مغادرة الفراش ويقول الطبيب انها مسألة أعصاب ، ومع ذلك فانى أعلم أين دواؤها وقد طلبته منى فى هذا الصباح ليكون هديتها يوم العيد . انها على يقين من أنه دواؤها الشافى . هكذا تحدثها نفسها .

الأم : نعم ، أعلم يقينها هذا ، تؤمن أن لا دواء يشفيها الا عصفور تيلتيل،فهى لاتنفك تطلبه.اذن ياتيلتيل ،

ألم تطب نفسك بعد باهدائه الى هذه الفتاة المسكينة؟

هـــو : هو لى فكيف أهديه يا أمى ؟

الأم : هولى ، هولى ، ولكنك لا تعنى به . بل لا تلقى عليه نظرة فهو من شدة الحسرة يوشك أن يموت منذ زمن طويل .

هـــو : نبّهتنى يا أمى ، الآن تذكرت عصفـورى . أين هو ؟ ها هو القفص . ميتيل ! أترين القفص ؟ هو الذى كان فى يد الرغيف . نعــــم ، هو بعينــه ، ولكن ليس به الا عصفورى ، فأين الآخر ، الطائر الأزرق ، هل أكله عصفورى ؟ انظرى انظرى ! يا للعجب ، فى القفص طائر أزرق ، وما هو الا عصفورى ، هو بعينه ، وان كانت زرقته قد زادت ، انه الطائر الأزرق الذى طالمـا سـعينا وراءه فلم ننجح فى اقتناصه ، على حين أنه كان موجودا فى بيتنا طول الوقت ، هــذا شيء مدهش ، هــذا شيء بديع ، ميتيل ، أترين العصفور قد عرفنا الآن أنه الطائر الأزرق . ماذا كانت تقول بسمة النور لو رأته ؟ سأنزل القفص . (يقف على المقعد ويُنزل القفص ويعطيه للجارة) . ها هو العصفور يا ست غريّبـــة ، ان كان فى زرقتـــه الآن نقص فانه

سيستكملها فيما بعد ، وسترين ، ولكن هيّا ، احمليه سريعا الى بنتك .

الجارة : أجادٌ أنت ؟ حقا ما تقول ؟ تعطيه لى هبةً منك ؟ من فورك ، وبلا عوض ؟ رب ، كم ستسعد هديتك ابنتى .

هو : اذهبى بسرعة ، فبعض الطيور تبدّل أحيانا لونها .

الجارة : سأعود لأخبرك بما قالته ابنتى ..

(تخرج) .

هو : (يطيل التأمل فيما حوله) بابا ، ماما ، ماذا فعلتما بالبيت ؟ انه عين البيت ولكنه أكثر جمالا .

الأب : كيف زاد جماله ؟

هو : نعم ، كأنما دارت عليه يد بطلاء جديد ، وبالترميم والاصلاح ، فكل شيء لامع ونظيف ، لم تكن هذه حاله فى السنة الماضية .

الأب : السنة الماضية ؟

هو : (يذهب الى النافذة) وهذه الغابة التى أراها ، ما أكبرها ، ما أجملها ، انها لتبدو لعينى كأنها غابة جديدة أراها لأول مرة ، ما أسعدنى هنا ، (يذهب ليفتح صندوق الخبز) أين الرغيف ؟ انه

راقـد باطمئنان ، ثم أين تيلو ؟ مرحبـا يا تيلو .
والعراك فى الغابة . هل تذكره ؟

هـى : وتيليت عرفتنى ولكنها لا تكلمنى .

هـو : سأكلّم الآن الرغيف ، (يلمس جبهته) عجبا ، لم تعد المـاسة معى ، فمن الذى أخذ قبعتى الصغيرة الخضراء ؟ لا بأس ، فأنى لست فى حاجة اليها . (ينظر الى المدفئة) آه ! هذه هى النار . ما ألذّ جوارهـــا ، انهـا تئز وهى تضحك لتغيظ المـاء (يجـرى الى الصنبور) يا ماء ! أهـلا بك ، ماذا تقول ؟ انها ماضية فى الكلام ولكنى لم أعد أفهمها بوضوح .

هـى : وأين قمع السكر فانى لا أراه .

هـو : ما أسعدنى هنا . ما أسعدنى .

هـى : وأنا أيضا ، وأنا أيضا .

الأم : ماذا بهما ليدورا فى البيت هكذا ..

هـو : أما أنا فقد أحببت بسمة النـور بالأخصّ ، أين المصباح ؟ هل أستطيع أن أضيئه ؟ (وهـو متماد فى التلفّت حـوله) كل ما أرى جميـــــل ، ما أسعدنى !

(يسمع دقا على البـاب)

الأب : ادخل .

تدخل الجارة الست غريبة ممسكة بيد بنت صغيرة شقراء بهية الجمال تحضن عصفور تيلتيل الأزرق .

الجارة : أرأيتم المعجزة ؟

الأم : من يصدق ؟ انها تمشى !

الجارة : تمشى ، وتجرى ، بل ترقص .. حين رأت العصفور نهضت من فراشها الى النافذة قفزة واحدة لتتبين فى النور هل العصفور الذى جئتها به هو حقا عصفور تيلتيل ، واذا بها تنطلق فجأة الى الطريق ، كأنها ملاك يطير ، لم أستطع اللحاق بها الا بعد جهد شديد .

هو : (يقترب منها وينظر اليها بدهشة) ما أشبهها ببسمة النور !

هى : ولكنها أضأل منها جسما .

هو : حقا ، غير انها ستنمو ..

الجارة : ماذا يقولان ؟ ألم يقلعا عن الهذيان ؟

الأم : هما الآن أحسن حالا وستمر الأزمة،وسيشفيان من الهذيان حين يتناولان الفطور .

الجارة : (تدفع ابنتها لتعانق تيلتيل) اذهبى اليه يا بنتى واشكريه .

(تيلتيل يغلبه الخجل ويتراجع خطوة) •

الأم : مـاذا بك يا تيلتيـل ؟ أتستحى من هـــذه البنت الصغيرة ؟ قبّلها قبلة كبيرة • (يقبّلها قبلة صغيرة) قبّلها أفضل من هـذا • أين جرأتك المعهـودة ؟ قبلة أخرى • ولكن ماذا بك ؟ كأنك ستبكى ••

(تيلتيل بعد أن يقبل الفتاة بخجل يظل واقفا أمامها برهة وجيزة ، يتبادلان النظرات فى صـــمت ثم يربت تيلتيـــل على رأس العصفور) •

هـــو : هل قنعت بزرقته ؟

البنت : نعم ، أنا راضية به •

هـــو : رأيت طيورا أشـد منه زرقـة ، أما الطائر الذى كملت زرقته فلم نستطع اقتناصه رغم ما بذلناه من جهـد •

البنت : لا ضير ، فعصفورى جميل •

هـــو : وهل أكل ؟

البنت : لم يأكل بعد ، وما أكله ؟

هـــو : كل شىء ، حبّ القمـح والأذرة والشعير وفتات الخبز •

البنت : وكيف يأكل ؟ قل لى •

هـــو : بمنقاره ، تعالى أريك كيف يأكل •

(يمد يده ليتناول العصفور الأزرق من يد البنت فتمانع مدفوعة بغريزة حب التملك وينتهز العصفور الأزرق لحظة ارتباكهما فيفلت ويطير) .

البنت : (تند منها صرخة يائسة) ماما ، لقد طار .

(ثم تنخرط في البكاء) .

هـو : لا تنزعجي ، لا تبكي ، فاني سأقتنصه لك من جديد (يخطو نحو مقدمة المسرح ويخاطب الجمهور ـ اذا عثر عليه واحد منكم فليتكرم باعادته الينا فكلانا أنا والبنت الصغيرة في حاجة اليه لننعم بالسعادة معا حين نكبر) .

(ختام)

روائع المسرح العالمى

صدر منها حتى الآن ٧٢ مسرحية

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	ــ الشقيقات الثلاث	أنطون تشيكوف
٢	ــ أعمدة المجتمع	هنريك ابسن
٣	ــ سيرانو دى برجراك	ادمون روستان
٤	ــ مروحة ليدى وندمير	أوسكار وايلد
٥	ــ بنيلوبى	سمرست موم
٦	ــ الغربان	هنرى بك
٧	ــ اليكترا	جان جيرودو
٨	ــ توركاريه	ر . لوساج
٩	ــ الدائرة	سمرست موم
١٠	ــ شاترتون	الفرد ديفينى
١١	ــ الأم	كارل تشابك
١٢	ــ اللعبة الغادرة	جون جالزورذى
١٣	ــ لعبة الحب والمصادفة	ماريفو
١٤	ــ ست شخصيات تبحث عن مؤلف	لويجى بيراندللو
١٥	ــ عربة اسمها الرغبة	تنسى وليامز

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١٦	عزيزى بروتس	ج . م . بارى
١٧	رجل الله	جابرييل مارسل
١٨	هيدا جابلر	هنريك ابسن
١٩	سباق المشاعل	بول هارفييه
٢٠	كنـــوك	جول رومان
٢١	جونو والطاووس	شيين أوكاسى
٢٢	دون جوان	موليير
٢٣	بيت برناردا ألبـا	فدريكو غرسنيه لوركا
٢٤	القرد الكثيف الشعر	يوجين أونيل
٢٥	مأساة الدكتور فوستس	كريستوفر مارلو
٢٦	الأستاذ كلينوف	كارن برامسون
٢٧	ثورة الموتى	اروين شو
٢٨	ما تعرفه كل امرأة	أوسكار وايلد
٢٩	أهمية أن يكون الانسان جادا ...	جيمس بارى
٣٠	دائرة الطباشير القوقازية	برتولت برشت
٣١	منزل القلوب المحطمة	جورج برناردشو
٣٢	القيثارة الخديدية	جوزيف أوكونور
٣٣	أفكار صبيانية	نويل كوارد
٣٤	زوجة مستر تانكرى الثانية ...	آرثر وينج بنيرو
٣٥	عندما نبعث نحن الموتى	هنريك ابسن

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٣٦	لا وقت للفكاهة	س . ن . بيرمار
٣٧	سيجفريد	جان جيرودو
٣٨	علماء الطبيعة	فريدرش دورنمات
٣٩	رغبة تحت شجرة الدردار	يوجين أونيل
٤٠	حورية البحر	هنريك ابسن
٤١	جزاء خدماتهم	سومرست موم
٤٢	ايولف الصغير	هنريك ابسن
٤٣	بلياس وميليزاند	موريس ماترلنك
٤٤	الاله الكبير براون	يوجين اونيل
٤٥	حاملة المصباح	رجنالد بركلي
٤٦	آل باريت	رودلف بيزييه
٤٧	الزفاف الدامى	فدريكو جرثنا لوركا
٤٨	الخاطبة	ثورنتن ويلدر
٤٩	اعرف نفسك	بول هرفيو
٥٠	القصى	ترنتبوس أفير
٥١	فترة التوافق	تنيسى وليامز
٥٢	بيرجينت	جون جلزورذى
٥٣	الابن الأكبر	جون جلزورذى
٥٤	زيارة السيدة العجوز	فريدريش دورينمات
٥٥	ديدرى فتاة الأحزان	جون ميلنجتون سبنج

رقم العدد	اسم الكتاب	اسم المؤلف
٥٦	المسافر بلا متاع	جان انوى
٥٧	الحالمة	المر رايس
٥٨	كلهم أولادى	آرثر ميلر
٥٩	أوندين	جونهولد افرايملسينج
٦٠	مينافون بارنهلم	جان جيرودو
٦١	معطف الفراء	جرهارت هاوبتمان
٦٢	كرنفال الأشباح	موريس دوكوبرا
٦٣	« هو » الذى يصفع	ليونيد آندرييف
٦٤	فتى الغرب المدلل	جون ملنجتون سينج
٦٥	قواعد المبارزة	لويجى بيراند
٦٦	عرفوا ما يريدون	سيدنى هوارد
٦٧	المحراث والنجوم	شون اركيس
٦٨	أميديه	ارجين ينسكو
٦٩	المسامر	جون أوسبورن
٧٠	أجازة	فيليب بارى
٧١	الجنوب	جوليان جرين

ملتزم التوزيع فى الداخل والخارج : **مؤسسة الخانجى بالقاهرة**

وتطلب من المكتبة القومية ٥ ميدان عرابى « القاهرة »

ومن مكتبة المثنى ببغداد ودار العلم للملايين ببيروت

روائع

المسرح العالمي

سلسلة مسرحيات عالمية

بأقلام الصفوة الممتازة
من المترجمين والمراجعين
مع دراسة عميقة
لاتجاه كل كاتب

يطلب من :
مكتبة الخانجي - القاهرة ، ومكتبة المثنى - بغداد
ودار العلم للملايين - بيروت ، ومكتبة المنار - تونس
ومكتبة الرشاد - الدار البيضاء
ويطلب من : المكتبة القومية ٥ ميدان عرابي

الثمن ١٠ قروش

الشركة المصرية للطباعة
أبريل ١٩٦٦